

الثقافة الإسلامية

مقدمة

قد لا نجانب الحقيقة إذا قلنا: إن النشاط الانساني الفكري بكل ما يحمل من تفاصيل تختصر في لفظة (الثقافة)، ولكن يتعذر علينا ان نختصر مفهوم (الثقافة) عينه، وإن الإنسان يمكن أن يقترب منه و لكن من المستحيل أن يطاله، فذلك أشبه بمحاولة مسك الهواء، ومع كل هذا لا بأس بشرف المحاولة في أن نكون مثقفين، وهذه الحقيقة يقرها القرآن الكريم حيث يقول الله (تعالى شأنه:)

((وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ))

فبين ذي العلم والعلم مسافة شاسعة على الانسان أن يسير فيها، ويحدث نفسه بأن يقطعها بكل ما أوتي من شهيق وزفير؛ ليصل الى (أناته المدركة) و يحقق (الفوقية الدنيا) على أقل تقدير.

وتجدر الإشارة الى ان مفهوم "الحضارة" يتداخل مع مصطلحات اخرى في معظم اللغات العالمية ففي اللغات الاوروبية يُستخدم لفظان للدلالة على معنى الحضارة هما (culture) و (civilization) ويبدو انهما قد مرتا بتطورات متشعبة في المفهوم لسنا بصدها هنا.

بيد أننا لا بد من أن نحدد المفهوم الذي يدور في نطاقه حديثنا الآن فالثقافة (culture) مأخوذة من اللاتينية، ودلالاتها في العصور القديمة والوسطى مقصورة على معنى مادي هو "تنمية" الأرض ومحصولاتها، وتطورت في العصور الحديثة لتشمل مدلولين مادياً و عقلياً، كما تطورت مرة اخرى في القرن الثامن عشر؛ فأصبحت تدل على تنمية العقل والذوق، ثم الى حصيلة هذه العملية أي المكاسب العقلية والادبية والذوقية التي نعبر عنها بلغتنا بلفظ "الثقافة" و "المدنية" أحياناً، و لا يزال هذا المعنى هو السائد في اللغات الغربية، و مفهوم "الحضارة" لدينا هو المعنى الواسع والحقيقي الذي يتناول حياة الانسان بأجمعها ليس بمظاهره الخارجية حسب، بل كذلك وبالدرجة الأولى نظم تلك الحياة وبرامجها الروحية والعقلية؛ لتطوير تلك الحياة، وإعلانها باستمرار طبق المبادئ و القيم الإنسانية، الثابت فيها والمتغيرات.

وهذه هي خصائص حضارتنا و ثقافتنا التي سنتطرق الى بعض جوانبها في ما يرد من حديث...

يقال دائماً: اسأل المجرب ولا تسأل الحكيم، فما بالك إذا سألت الحكيم والمجرب في الوقت عينه، ما يأتي هو غيض من فيض معرفة واسعة، بين يديك يقدمها ذلك الحكيم والمجرب ألا وهو الدكتور ابراهيم الجعفري.

المحور الاول اهمية الثقافة

((كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُرَكِّبُكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)) (1)

لما كان هذا الحديث مع الشباب هو أول الاحاديث، فقد كان من الطبيعي أن نتناول في هذا البحث (المحاضرة) مبررات التأكيد على الثقافة عامة، والثقافة الإسلامية خاصة، حتى يتم التعامل مع ما يُطرح فيها من أفكار ومعارف على هذا الأساس.

قبل الحديث عن أهمية الثقافة؛ لا بدّ من أن نحدد معنى الثقافة؟ في اللغة: (تَقِفَ الشيءَ ثقفاً حَذَقَهُ. وَرَجُلٌ ثَقِفٌ وَثَقِفَ.. حَازِقٌ فَهْمٌ.. وَثَقِفَ الشيءَ سرعةَ التعلّم.. وَثَقِفَ الرجلُ ثقافةً أي صار حاذقاً خفياً.. ومنه المثاقفة... غلامٌ لَقِنَ ثَقِفَ أي ذو فطنة وذكاء، المراد منه أنه ثابت المعرفة بما يحتاج اليه) (2)

في الاصطلاح: (هي مجموعة العلوم، والفنون، والمعارف النظرية، التي تؤلف الفكر الشامل للإنسان؛ فتكسبه أسباب الرقي والتقدم والوعي) (3)

الثقافة الإسلامية في الاصطلاح هي: (مجموعة المعارف، والتصورات، والعلوم النظرية التي تدور في فلك الإسلام لتنبثق عنها فكرة شاملة عن الكون، والإنسان، والحياة، والتي تؤثر في الفرد والمجتمع فتضفي عليهما طابعاً شخصياً) (4)

(الثقافة الإسلامية على أساس أنها المفاهيم الصحيحة عن الله، والكون، والإنسان، والحياة... عن الله كخالق، وشارع للاحكام، والحدود، والأخلاق، وعن الكون كمسخر للانفعاع الانساني، وعن الإنسان كمستخلف في الارض لاستعمار الكون، ومسؤول عن تصرفاته الحسنة والسيئة، وعن الحياة كمجال للعمل الإنساني على أسس اسلامية) (5).

وها نحن الآن نتعرض لأهمية الثقافة للشباب:

- 1ثقافة التأسيس على المُسلّمات المُبرهنة

لا يخفى على أحد أن شخصية الشاب تمتلك من المرونة ما يجعلها مؤهلة لتقبل ما تحتاجه من المفاهيم من دون أي صعوبة كتلك التي تحصل في عمر الكهولة، وتتفاقم في الشيخوخة. كما أن خلوّ الذهن من أفكار ناضجة ومترسخة، لدى الشباب هو الآخر يساعد في عملية التثقيف والتعاطي الثقافي.

إن اللانضوج الذهني لدى الشاب لا يعني بحال نقصاً تكوينياً في شخصيته، وهو في مرحلته المبكرة، خصوصاً وهو يحمل استفسارات كبيرة حول كل ما يدور حوله من أمور، وفي شتى مناحي الحياة؛ في العقيدة، وفي الاخلاق، وفي السياسة، وفي الاجتماع.... وهو ليس عاجزاً عن البحث عن الاجوبة، وعمّا يدور برأسه من تساؤلات، ولا مستسلماً لأيّ جواب، حتى وإن جانب الحقيقة، وابتعد عن الدليل والبرهان، ولا مكابراً عمّا يستجد من دواعي المراجعة فيما يحمل من أفكار، وما يمارس من سلوك.

التربية هي الهدف الأساس من الثقافة؛ لذلك نجد القرآن الكريم يقدمها على التعليم ((ويُزَكِّمُ وَيُعَلِّمُ)) على الرغم من أن التعليم مقدّم على التربية، من حيث التسلسل بالتأثير، والوقوف على مفاهيم العقيدة، ومعاني الفضيلة والخلق، والتعرف على احكام الشريعة الاسلامية، غير ان التربية هي الهدف وهي القيمة الحقيقية التي يستهدفها العلم والثقافة.

إنّ (ثقافة التأسيس) بالغة الاهمية؛ لأنها القاعدة التي تنشاد عليها الكثير من التصورات، والمفاهيم اللاحقة في الاخذ؛ كما أنها تمتزج بشكل شعوري ولاشعوري في عواطفه، وإذا ما تعمّقت فيه واخذت طريقها الى وعاء مشاعره، يصبح من الصعب عليه أن يتجرد عنها، من دون دليل قوي ومعاناة بالغة؛ إنّ موعد التثقيف في مجال العقيدة خاصة، لا يمكن ارجاؤه عن فترة المراهقة بالذات، لأنه يأتي على موعد مع التساؤلات الكبيرة، والحادة، التي تتولد من تكامله الذهني في هذه المرحلة، حين يكون طابع المراهق في التلقي على أساس (التلقي بالافتناع)، بدلاً من (التلقي بالتلقين) الذي كان عليه في مرحلة الطفولة.

من هنا لم يكن من السهل تقديم أي فكرة للمراهق على أساس انها صحيحة، لأنها (مسلمة شخصية) كالإنسان ابن بيئته!. أو (مسلمة عائلية) كالمحابة بين الجنسين!. أو (مسلمة عرفية) كحشر مع الناس عيد، او حتى (مسلمة علمية)!

كمدعى "فرويد" (6) في تفسير السلوك الإنساني على أساس الغريزة الجنسية؛ ونظرية "داروين" (7)، ومدعى "رينان" (8)، في أفضلية الجنس الاوروبي على باقي الاجناس: (جنس واحد يلد السادة والابطال هو الجنس الاوروبي، فإذا ما نزلت بهذا الجنس إلى مستوى الحظائر التي يعمل فيها الزوج والصينيون فإنه يثور؛ فكل ثائر في بلادنا هو بطل لم يتح له ما خلق له، هو انسان ينشر حياة البطولة فإذا هو

مكلف بأعمال لا تتفق وخصائص جنسه، إنَّ الحياة التي يتمرّد عليها عمالنا يسعد بها صيني أو فلاح أو كائن لم يخلق لحياتنا)(9).
الشباب يريد أن يبدّل عقله بكل ما يعتبره العقل، والعقل وحده، ويقيم له وزناً، انه مسلمة عقلية؛ فهو غير مستعد لأن يجعل عقله عقل انعكاس “المُسلّمات غير المبرهنة”، بل يريد كما أراد له الله (تعالى) عقل “المُسلّمات المبرهنة”، عملاً بالقرآن الكريم:
((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (10).

2 - غياب أو ندرة (النموذج الإسلامي)

وهذا ما نلاحظه في شتى المجالات الاجتماعية، بسبب ما اعترى الاوساط الإسلامية من عادات وتقاليد وأفكار لا تمتُّ الى الاسلام بصلة، و (هذه ليست جديدة)، فقد اقترنت هذه الظاهرة مع المسيرة الإسلامية منذ عصر الفتوحات، ومثلما امتدت الدولة بهيمنتها على بعض البلدان، امتدَّ الفكر المضاد من تلك البلدان الى المسلمين، ليشكل تحدياً لما يعتقدون؛ ما استدعى ولادة علم يتكفل بالدفاع عن العقيدة، ويجيب عن كل ما يثار حولها من شبهات، فكان (علم الكلام).

وها هي ساحة الأمة تشهد ابتعاداً عن المفاهيم العقيدية الحقة، والقيم الدينية؛ ما جعلها تتخبط في دياجير الجهالة، وترزح تحت نير (الاستعمار)، فتمزقت اوصالها، وصودرت خيراتها، ولم يكن امامها خيار غير خيار الاسلام، الذي يمثل سرّ قوتها.

بمثل هذا الجو الاجتماعي، ينفّث جيل الشباب على واقع المسلمين الممزق، ليرى الكثير من العادات والتقاليد، مما لا يمتُّ الى الاسلام بصلة، كما ينفّث على “فكر التكفير”! الذي يحكم على كل من يحمل وجهة نظر مخالفة! ينفّثون على أمة تلتقي على رسول الله (ص) العاطفة والتراث والعبادة، وتختلف عليه فكراً وسيرة.

أمة تسمح لنفسها بأن تعيش الاقتتال بين ابنائها، والخنوع مع الاعداء! امة تهجر العلم، الذي جعله الله مقياساً للتفاضل :
((...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...)) (11).

الامة اليوم تعيش في بعض جوانبها على “تخريف العقل”! حين ترضى لنفسها أن تتخلى عن الاسلام المعرفة والعلم والقيم، ويفتك بها كل ما لم ينزل الله به من سلطان. فمن أين جاءت النعرات القومية، والقبلية، والطائفية، ومتى سادت قيم الجاهلية، بدلاً عن القيم الحقة! بمثل هذه الاجواء ينشأ اليوم جيل من الشباب، يفتقر فيه الى النموذج الصالح، الذي يصلح للاقتداء، ويحتل موقع التوجيه والريادة؛ هذا يجعل الشباب امام مسؤولية تقصي النموذج الصالح ممن يطبق الشريعة الصحيحة وليس فقط من

يتحدث بها من المربين فقهاء او مفكرين وكل واحد من هؤلاء لا يمثل الرسالة بمستوى الكمال فذاك هو المعصوم والمعصوم وحده.

- 3 الجواب على (إثارات اوساط الغرب)

إنَّ طبيعة معظم الاوساط الغربية مشبعة بالاتهامات ضد الديانات عامة، والاسلام خاصة، باعتبارها اوساط علمانية ناهضت المؤسسات الدينية (الكنيسة) منذ زمن بعيد، وهدمت كل الجسور الممتدة بين العلم و الإيمان؛ فقد ودّعته من حين استعرت المعركة بين الكنيسة، -وباسم الدين- والعلم وما اودت تلك الحرب الظالمة بحياة خيرة العلماء من المخترعين والمكتشفين).

إنَّ رجال الكنيسة هم الذين أمروا بضرب "برينللي" بالعِصِيّ لانه قال إنَّ النجوم لا تقع، وهم الذين أخضعوا "كامبانيلا" للاستجواب لتأكيدهِ على لانهاية العوالم وتلميحه لسر الخلق، كما أنهم هم الذين اضطهدوا "هارفي" (12) لبرهنته على أنَّ الدم يجري في الجسم؛ وبأسم المسيح قبضَ على "غاليلو" (13)، وباسم القديس "بولس" سَجَنَ (كريستوف كولومبس) (14- 15) فاكتشاف قانون السماء كان كفراً واكتشاف العالم كان هرطقة (16)؛ والكنيسة هي التي ألقت الجُرم على "باسكال" (17) بأسم الدين، وعلى "مونتين" (18) بأسم الاخلاق، وعلى "مولي" (19) باسم الأخلاق والدين (20)، وبلغت المشكلة ذروتها عام 1864م عندما اعلن البابا (Syllabus) قراره بعدم مهادنة اي تطور علمي أو حضاري، جاء في الرسالة: الجُرم على كل الذين يقولون ان الحَبْرَ الاعظم (البابا) الروماني بإمكانه، وعليه أن يتصالح ويتفاهم مع التطور، والحرية، والحضارة الحديثة (21) .

مثل هذه المجتمعات، التي استمدت نظرتها على خلفية سينة عن الدين، بمثل هذه الخلفية، وانتهت الى قرار الفصل النكد بين الدين والحياة، لا يتوقع لها أن تنظر للدين، والمتدين اكثر مما هو انسان غير واقعي، لا يصلح لإعمار الحياة من كل جوانبها الاجتماعية؛ غير أنَّ عالم الغرب على الرغم من نظرتَه القاتمة للدين، يزخر بثروة علمية على الصعيد الاكاديمي، وتطور مشهود في الانظمة الحياتية المختلفة، على الصعيد الثاني، وآليات لاحترام حق المواطن على الصعيد الثالث.

فالشباب القاطن بمثل هذه الاوساط الاجتماعية لابد من أن يعي هاتين الحقيقتين، حقيقة النظرة للدين وحقيقة النظرة اليه على هذه الخلفية، ولذلك يكون بحاجة الى ثقافة اسلامية اصيلة لبناء حياته من جانب، وثقافة موضوعية عن الوسط الذي يتحرك فيه، حتى يعرف من موقع الوعي، ما هو "المقبول" وما هو "المرفوض" من هذه الاوساط؛ ليتسنى له من موقع الوعي رفض ما ينبغي رفضه، وقبول ما ينبغي قبوله، في اجواء عاطفية يتطرف فيها الكثير من القاطنين بحيث يقبل بعضهم بما ينبغي رفضه من سوء

العادات وقبيح التصرفات، او يرفض ما ينبغي قبوله من آليات التنظيم واحترام الزمن واعتماد مبدأ التخصص بالاعمال...

- 4بناء الواقع الاسلامي

لا ينبغي ان يقتصر الحديث مع الشباب على أساس بناء شخصيته وحسب، أو التوسع الى أفراد أسرته ليس إلا، على ما لهذا الهدف من أهمية بالغة من دون أن يضطلع بدور المساهم الاساس في بناء التجمع الاسلامي الذي يمثل الانموذج المتحضر، والوسط الصالح للتعاطي مع كل الافراد..

إن الاسلام دين عملي يستهدف بناء واقع المسلمين من كل الجوانب، ولا يمكن ان يتأتى مثل هذه الاهداف من دون ان تتظافر جهود الشباب كلها. إن واقعية الاسلام تتمثل بتجسيد احكامه من زاوية اجتماعية في الكثير من الجوانب كنظرية الاسلام في الزواج، والحجاب، وإحياء الشعائر، وممارسة بعض العبادات ذات الطابع العام...

فما لم يضع الشاب نصب عينيه مهمة صناعة مثل هذا الواقع؛ سينعكس سلباً على الكثير من الآباء وأبنائهم، ويسيء الى سمعة الإسلام، ويجعل الإسلام في ضمير كل انسان مجرد فكرة، وعاطفة؛ ما يعطل طاقته الحركية في بناء الحياة، وتصبح المقارنة بين ما يحمله ويتعامل مع الواقع غير الإسلامي، في حالة غير متكافئة يعيش فيها اسلاماً غير واقعي، في واقع غير اسلامي، لا ينكر أحد شعور البنت المحجبة في وسط المدرسة، وهي تسبح في بحر اجتماعي يتعاطى السفور، ولا تجد في الحجاب إلا أنها فكرة آمنت بها، وتفاعلت من عمق احساسها معها، وراعت فكر واحاسيس أهلها، غير ان هذا كله لا يضيف على مفهوم الحجاب بعداً واقعياً، ما لم ترَ البنت بعض اخواتها يتعاطين الحجاب ذاته، وإن لم يكن من حيث الكم، عددن قد بلغ ما يبلغه الوسط الآخر، فهن لا يصلن في بلد المهجر، مثلاً مستوى المجتمع الملتزم، ولكن يمكن أن يحققن مستوى التجمع الملتزم.

عندها تكون المقارنة بين واقعين: واقع اسلامي، وواقع غير اسلامي؛ ما يمنح الملتزم زخماً من الثقة لا يتأتى له من موقع الانفراد، وهنا ومن اجل تحقيق هدف كهذا، لابد للشباب من ثقافة تؤهله للنهوض بمثل هذا الدور، ولا شك في أن الشاب يمتلك مثل هذه القدرة؛ فقد قال رسول الله (ص):

(لقد بعثني الله بالحنيفية السمحة، فحالفني الشباب، وخالفني الشيوخ.)
، وعن الامام الصادق (ع) للأحول: (أتيت البصرة؟ قال: نعم، قال (ع): كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الامر و دخولهم فيه؟ فقال: والله انهم لقليل، ولقد فعلوا ذلك وإن ذلك لقليل، فقال: عليك بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كل خير) (22).

وقد فرضت هذه الحقيقة حقيقة دور الشباب في التلاحم مع الاسلام وحمل لوائه، على التاريخ الاسلامي بحيث انعكس ذلك على الكتاب والمؤرخين فقد جاء في كتاب “محمد في مكة” لـ”مونتغمري وات” (23) وهو يقول: (لقد انتمى الى الاسلام شباب، ينحدرون من افضل العائلات، وأشهر القبائل، وإنَّ أهم فكرة نستخرجها من تاريخ المسلمين الأول، هو إنَّ الاسلام كان في الاساس حركة شباب)(24).

- 5 مهمة حماية الاسلام

إنَّ ما يتعرض اليه الاسلام على مستوى العقيدة، والنظرية، والمشاعر، والمقدس، يستدعي من الشاب ان يتزود بأعلى ثقافة اسلامية، يجدر بها ان تقاوم التحديات الفكرية، وتنهض بمهمة تجلية الوجه المشرق للاسلام على الرغم من كل محاولات التشويه التي تسهم فيها الحملات المضادة للاسلام، ويروِّج لها بعض الجهال، والمندسين، والمتحليلين من ابناء الأمة. وحيث إنَّ مثل هذه الدعوات المضادة تتلبس بلباس العلم، والفن، والحوار الموضوعي، فإنَّ رداً على هذا المستوى من الهجوم لابدَّ من أن يكون من موقع ثقافة الاحاطة بكل ما يثار بوجه الاسلام من تساؤلات، ويعتمد مبدأ الرد بالحجة، والبرهان :

((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.))

ولا يعاني الإسلام من أزمة في أي شأن من شؤون الحياة، أو الرد على شبهة تثار حوله، إنما المشكلة تكمن في افتقار ابناء المسلمين للإلمام بالفكر الاسلامي، وما فيه من نتائج زاهر يغطي كل مجالات الحياة.

إنَّ محاولات تشويه الصورة الإنسانية للإسلام للحيلولة دون جعله الطرف الاكفأ لحل المعضل البشري، وحلول الشقاء في شتى مناحي الحياة، وهو ما يجعل الشاب المسلم الذي يعيش أجواء غير إسلامية أمام مهمة عينية في طرح الإسلام الإنساني على حقيقته، وليس كما صوّره اعداؤه أو بعض المتطرفين من ابناءه.

لقد حاول الكثير من أعداء الإسلام تصويره على أنه دين يسمح لأبنائه: بالتمرد على كل ما من شأنه تنظيم الحياة، من قوانين أو تعليمات.. في الوقت الذي يهتم الإسلام فيه بتقوية الدوافع الذاتية التي تبعث المسلم من داخله على الالتزام بعيداً عن رقابة القانون، التي تعجز عن النفوذ الى عمق الانسان الداخلي كما توجد فيه قابلية الردع الذاتي التي تكفه عن إلحاق الضرر بأي إنسان: يقول امير المؤمنين (ع): (أوصيكم بتقوى الله ونظم أموركم).

بينما نجد المواطن في الدول الغربية عموماً يتقيد بالقانون، لكنه يستثمر أحياناً الفراغات القانونية، أو غفلة الجهات التنفيذية المعنية بالتطبيق، لتحقيق مصالحه مادام في مأمن من الوقوع تحت طائلة العقوبة القانونية.

يقول (نيتشه) الفيلسوف الألماني المعروف الذي روج اليهود لأفكاره، وأخلاقياته: (إذا استطعت أن تخرق القانون... بحيث لا تقع تحت طائلته فأفعل بشرط أن تكون ذكياً فلا تنالك عقوبته - أي اقتل، أو اسرق، إذا استطعت ان تنجو من مؤاخذه القانون.. فالمانع إذن هو القانون لا الاخلاق، وهذا هو الفرق بين أخلاقهم وأخلاقنا، وحضارتهم وحضارتنا..!) (25)، ومن البديهي ان الثقافة والادعاءات، مهما بلغت من القوة، لا تؤدي الغرض المطلوب مثلما يؤديها التجسيد الحي الذي يلمسه الآخرون.

- 6 الحوار الحضاري

ونريد به اعتماد مبدأ الحوار القائم على اساس ابراز الفكر الإسلامي من موقع المشافهة نريد بالحوار الحضاري مبدأ الممارسة التطبيقية مع ابناء الحضارات الاخرى من موقع استيعاب المفردات الحضارية، الانسانية، المختلفة واليها، والتي تجعل من الإنسان قيمة عليا يلتقي فيها الإسلام مع كل الحضارات الإنسانية..

إنّ هذا الدور-عادة- لا ينهض به إلا مَنْ كان له باع طويل في فهم الإسلام، وفهم الحضارات الاخرى، وفهم المشتركات بينها، واجادة الاسلوب المناسب في إدارة الحوار من دون أن تتحول عملية الحوار الى صراع، او غلبة المادي القوي لتحقيق هيمنة ما على بني الانسان مهما كان مبررها.

إنّ الحضارة الإسلامية وفي أوج ذروتها ظلت انسانية، والمتتبع للتأريخ لا يجد ثمة صعوبة في ادراك ثلاث ظواهر، ظاهرة الامتداد بالمسلمين الى كل بقاع العالم عبر التأريخ من دون أن يذوب في ممارساتها الشاذة، بل يتعامل معها بكل ثقة، من دون أن يسجل إساءة الى المجتمع، او انتهاكاً لحرمة.

والظاهرة الثانية هي الامتداد بالدولة الاسلامية الى مناطق متعددة من المجتمعات البشرية؛ لتمد من خلال ذلك العلم، والمعرفة، والعدل، من دون ان تعاني تلك الشرائح الاجتماعية من عنت او ضيم، بل انها عاشت ربيع عمرها، وذروة ازدهارها على الاطلاق.

والظاهرة الثالثة هي احتضان المجتمعات والدولة الإسلامية لأبناء الديانات الاخرى، وانها كانت صاحبة السبق في منح الامن لكل من يعيش في كنفها، وأنهم دخلوا في ذمة الإسلام ، إنّ هذا يعكس أنّ المجتمع المدني يقوم من وجهة نظر إسلامية على

أسس انسانية، ما يجعل الانسان يعيش حراً في ظل الإسلام، بما لا يتاح له في ظل اي نظام آخر، قد يتهدد امنه، وسلامته، ومصيره لأتفه الأسباب.

التعاطي الحضاري من وجهة نظر بعض الدول الغربية، يعني حواراً لتحقيق مصالح، وإذا اعتقدت ان مصالحها قد تضررت فلا تألوا جهداً من اجل إعادة النظر بكل تلك المَدَّعِيَّات، بحيث تبدأ الحرية بالتراجع، او الزوال، والحوار بالاحتراب، وحقوق الانسان بالانتهاك، ومساعدة الدول الضعيفة بالهيمنة عليها، والتحكم بخيراتها.

المراجعة الموضوعية، لمسيرة الإسلام في التعامل مع ابناء الديانات، الاخرى يفضي الى حفظ حقوقهم، وصيانتها من اي انتهاك، مهما كان السبب.. إنَّ الإسلام دين يخاطب قلوب الناس، وعقولهم، ويكرمهم من دون ان يسمح بانتهاك حقوقهم، بل إنه يبني المجتمع على أسس إنسانية، كل هذا الذي غاب عن وعي الكثير من المسلمين، فضلاً عن غيرهم بسبب ما يعانیه من تضليل من أعدائه من جانب، وبعض الممارسات الشاذة، التي يمارسها باسم الإسلام بعض أبنائه من الجانب الآخر، هذه المهام تتطلب ثقافة عالية ترتقي الى مستوى الأصالة.

الهوامش

1-سورة البقرة - 151

2-ابن منظور لسان العرب ج9 ص20

3-د.أمير عبد العزيز دراسات في الثقافة الاسلامية ص16

4-نفس المصدر السابق ص 17

5-أحمد محمد جمال محاضرات في الثقافة الاسلامية ص15

6-طبيب نمساوي درس طرق العلاج النفسي، من اهم مؤلفاته (تفسير الاحلام) و(مدخل الى التحليل النفسي).

7-عالم حيوان انجليزي اشتهر بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعي حول نشأة الانسان.

8-مؤرخ وكاتب فرنسي عرف عنه ترتيبه وتصنيفه للاعراق، ووضع العرق الابيض على رأسها، كما عرف كرهه للإسلام

9-مالك بن نبي: وجهة العالم الاسلامي عن كتاب د. عبدالكريم عثمان معالم الثقافة الاسلامية ص 88

10-سورة البقرة-111، سورة النمل- 64

11-سورة الزمر - 9-

12-مكتشف الدورة الدموية الكبرى ووظيفة القلب

13-عالم ايطالي من علماء الفيزياء والفلك المشهورين. اكتشف حركة دوران الارض حول الشمس (المنجد / ط 19 / \ 393).

14-بحار راند، ولد في ايطاليا وتوفي في اسبانيا، مكتشف اميركا عام 1492 (المنجد | ط 19 / 477.)

15-محمد محمد صادق الصدر، موسوعة ما وراء الفقه.

16-الهرطقة عند النصارى البدعة في الدين (نفس المصدر السابق. | ص 863)

17-فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي، اشتهر بتجاربه على السوائل في الفيزياء.

18-فيلسوف فرنسي عاش ومات في القرن السادس عشر الميلادي، من ابرز مؤلفاته كتاب (مقالات).

19-ممثّل وكاتب مسرحي فرنسي، اخر اعماله المسرحية (المريض الوهمي).

20 - دونوروا، الير بابه، من الفكر الحر الى العلمنة، ترجمة: عاطف علبي، دُر الطليعة بيروت 1986 ص 49. هامش كتاب د. علي لاغا مدخل الى العلوم السياسية ص140.

- 21-نفس المرجع السابق عن نفس المصدر ص 140.

22-بحار الانوار | ج 23 | ص 236

23-مستشرق واستاذ الدراسات الاسلامية في جامعة لندن ألف كتابين عن النبي الاعظم(ص) هما (محمد في مكة) و(محمد في المدينة).

24-أحمد محمد جمال | محاضرات في الثقافة الاسلامية | هامش ص 130

25-احمد محمد جمال | محاضرات في الثقافة الاسلامية | ص142

الخلاصة

قال الله (تعالى شأنه:)

((كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ.))

الثقافة في اللغة: من الحذق والفهم.

الثقافة الاسلامية هي: (مجموعة المعارف والتصورات والعلوم النظرية التي تدور في فلك الاسلام لتنبثق عنها فكرة شاملة عن الكون والانسان والحياة والتي تؤثر في الفرد والمجتمع فتضفي عليهما طابعاً شخصياً)(نفس المصدر ص 17).

الله : هو الخالق والمشرع للأحكام

الكون : هو المُسَخَّر للانتفاع الإنساني

الانسان : هو المُستخلف

الحياة : هي مجال العمل الإنساني

- 1 مواكبة مرحلة التأسيس: مرونة الشاب- خلو ذهنه من افكار مسبقة- التربية هي الاساس- تمتزج مع العواطف - التلقي بالاقتناع بدلاً عن التلقين.
رفض المُسلّمات التقليدية : (الشخصية -الإنسان ابن بيئته-)، (العائلية - المحابة بين الجنسين-)، (العرفية -حشر مع الناس عيد-)، (الادعاءات باسم العلم -رينان) تدشين العقل للوصول الى المُسلّمات المُبرهنة

- 2 ندرة الانموذج الاسلامي: نشوء علم الكلام.. اهمية الإنموذج الصالح.

- 3 الجواب على الإثارات في اوساط الغرب: خلفية النظرة الغربية للدين (برينللي) ضرب بالعصى لأنه لم يقل بسقوط النجوم!؛ (غاليلو)! (كولومبس) مكتشف اميركا عام 1492 ؛ ما هو المقبول والمرفوض؟

- 4 بناء الواقع الإسلامي : المقارنة بين واقعين إسلامي ولا إسلامي بدل الإسلام اللا واقعي. الرسول (ص): حالفني الشباب وخالفني الشيوخ.
- 5 مونتغمري وات : انتمى للإسلام خيرة الشباب من أفضل العوائل.
- 6 مهمة حماية الإسلام : جبهتا التحدي الداخلية والخارجية؛ الرقابة الداخلية ودلالاتها على جدارة الإسلام في بناء الانسان الصالح.
- 7 الحوار الحضاري : الظواهر الثلاث، أ- امتداد المسلمين؛ ب- امتداد الدولة الإسلامية؛ ج- احتضان المسلمين لأبناء الديانات الأخرى

المحور الثاني ميزات الثقافة الاسلامية

المدخل:

تستمد الثقافة الاسلامية ميزتها من ميزات الرسالة الإسلامية، من حيث المنشأ؛ كما أنها تنطبع بطابع الشخصية الإنسانية التي ستعنى ببنائها على مستوى الفرد،

والأسرة، والمجتمع، في مجالات الحياة كافة من حيث الهدف، نظراً للترابط العضوي بين الرسالة وبناء الإنسان، وإعمار حياته، وتشبيد حضارته. لقد تجسدت تلك العلاقة في بناء المجتمع الإسلامي الأول، كما تجسدت مع كل بادرة تطبيق إسلامية صحيحة بحسب الدائرة التي مُورست فيها الرسالة، وزخرت الحياة بمفاهيمها وأحكامها، كما أن الوجه الآخر من الحرمان بسبب عدم التطبيق قد ترك بصماته على حياة الناس على الرغم من الرقي المادي الذي حققه، والتقدم الصناعي الذي أحرزه. وهذا ما يفسر تفشي الشقاء، وانتشار الجرائم، وانعدام العدل في أغلب مجتمعات عالم اليوم. يبقى أن نقف على أبرز الميزات التي اتصفت بها الثقافة الإسلامية:

1- المعنوية: نقصد بالمعنوية، أو الفهم المعنوي للحياة، هو أن ينظر الإنسان للحياة من خلال ارتباطه بالله (تبارك وتعالى)، وعموم الرابطة الغيبية التي تطلق العنان للروح، كي يدرك الإنسان بواسطتها المعنى الحقيقي للحياة، دون أن يكون حبيس الحواس، وأسير النزعة المادية.

أن الفهم المعنوي للحياة من شأنه أن يمنح المرء رؤية واقعية، يجمع فيها بين معطيات المادة الحسية والحقائق الغيبية، التي يكشف عنها الدليل النقلي المعتبر- بالقرآن الكريم والسنة المطهرة- وما يلقاه من تجاوب فطري ينبع من أعماق النفس الإنسانية.

أن مثل هذا الفهم هو الذي يتولى تحريك الإنسان من داخله، ويعمق فيه الشعور بالرقابة الذاتية المرتبطة بالحضرة الالهية، التي لا يغيب عنها شيء في النفس الإنسانية:

((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)) (1).

أن هذا الشعور المعنوي العارم ومن جرّاء هذا الفهم يعطي البذل والتضحية وكل معاني الخير مذاقاً خاصاً لا يحسّ بطعمه الإنسان المادي، هذا الشعور هو الذي يحول الوجود من حوله إلى ساحة عطاء تتجاوز أسوار المادة وتهذب آليات (الأناب). أن هذا ليس مجرد عقيدة، أو احساس، منقطع عن التعامل اليومي الذي يمارسه الإنسان مع نفسه وأهله ومجتمعه، فالأمانة، وحسن الظن، والتوكل على الله، والدعاء، والصدق في الحديث، وكل ما يمت للخير بصلة يرتكز على قاعدة "الفهم المعنوي"، وبها يستقيم في مسارات التعامل كافة، فانبعاثه لاعطاء الحقوق المالية، وبذل الصدقات، وحسن الجوار، وصلة الرحم، وحفظ السر لمن يأتمنه، والتعفف عن كل محرم، وما إلى ذلك من مفاهيم، لا يخرج عن تأثير هذا الفهم، على الرغم من غياب

الرقابة القانونية، والاجتماعية، وحتى الأسرية عنه أحياناً، وبدونها يفقد كل ذلك السلوك مبرره، ويكون عاجزاً عن التفسير.

لقد تسنم الاقتصاد الاسلامي رتبة متقدمة في مجال التعاطي مع متعلقه من الملتزمين، حين ينطلقون لدفع ما بذمتهم من حقوق وينأون بأنفسهم عن أي غش أو تدليس بعيداً عن الرقابة الحكومية ليتأكد فيهم الدافع المعنوي.

2- الربانية: ان الثقافة الاسلامية تؤكد على ان الله (تبارك وتعالى)، هو الخالق، والمشرع، والمربي، وعليه فان الخالق الذي أحاط بمخلوقاته من كل جانب، لا يمكن ان يتصور ان يستغنى عن أحكام شريعته، أو يستعاض عنها كلياً بثقافة البشر وبتجاربهم.

ان ما تكشفه التجارب الثقافية في الحياة من تفاوت بالافكار والقوانين، من بلد الى آخر، وفي البلد الواحد من زمن إلى آخر، يجعل الظلم طابعاً عاماً على كل بني الانسان عبر التاريخ..

لا نريد بهذا إلغاء التجربة من حياة الانسان، أو حتى التقليل من أهميتها، فقد قال الامام علي (عليه السلام):

(العقل عقلان، عقل الطبع وعقل التجربة وكلاهما يؤدي الى التجربة) (2).
انما الذي نريد تثبيته، هو أن العقل التجريبي بمقدار ما يوصل الانسان الى الحقيقة في مجالات الحياة المادية، ويمضي به الى مديات بعيدة في المجالات كافة كما هو اليوم، وقد اقتحم الانسان عالم الفضاء، وتوغل الى أصغر وأدق المخلوقات المجهرية، لكنه ليس كذلك في فهم العقيدة والحياة المعنوية.

السعادة لا يمكن ان تنال من دون عقيدة بالخالق، ومن دون الاذعان الى شريعته بصفته رباً، وانه (سبحانه وتعالى) يبعث الوحي لرسله، حتى يوصلوه لعباده، ولا يمكن ان يتصور ان احكامه (جل شأنه)، عرضة للخطأ، او انها رهينة التجربة.
ان الربانية تقتضي الربط بين ما يحتاجه الانسان في كل جوانب شخصيته على صعيدي الدنيا والاخرة، وهو ما تكفل الاسلام به عقيدة وشريعة:

((إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ)) (3).

3- الشمولية: لم تترك الشريعة الاسلامية مجالاً من مجالات الحياة دون ان تغطيه بالاحكام:

((لا تخلو واقعة الا والله فيها حكم.))

وهي انما تناولت حياة الانسان بالشمول ليتحقق فيها الانسجام في السلوك، حين يطبق احكام الشريعة من الناحية العملية، تماماً كما تنسجم مفردات الشريعة داخل إطارها من الناحية النظرية.

ففي كل ميدان يلجّه المرء، وفي كل مرحلة من مراحل حياته، ومع أي مفردة من المفردات التي يتعاطى معها، يجد منظومة من الاحكام الشرعية، تلزمه بالتعامل على ضوء ما يريد الله (سبحانه وتعالى).

ففي مجال بناء الشخصية، صبّت الشريعة اهتمامها على عناصر تكوينها- روحاً، وعقلاً، ونفساً، وخلقاً، وبدناً- وواكبته في مجال العلاقة الزوجية والأسرية عموماً، وكذا الحال في المجال الاجتماعي، والسياسي، لتتكفل ببنائه بناءً إسلامياً سليماً، ينعم بالأمن هو، ومن يدخل في حياته، أو يقع تحت تأثيره.

ان ما تعاني منه المجتمعات البشرية من ويلات ومصائب وحروب، يرجع في اسبابه الى غياب شرع الله عن التطبيق، لتسود بدلا عنه شرعة الانظمة الوضعية في الغالب، والتي يتحكم فيها القوي بالضعيف.

ان شريعة الخالق، لم تقتصر على مجالات تعامل الانسان مع الانسان وحسب، بل امتدت لتشمل التعامل مع الحيوان، فتحرم قتله من دون مبرر وتوصي بالرفقة به، كما انها لم تبج - مثلاً - صيد الحيوان لمجرد اللهو.

الاكثر من ذلك، فقد أمرت الشريعة بالتعامل مع الموارد الطبيعية بشكل متوازن ونافع للانسان، من دون ان تطل يد العبثية في الإسراف والإتلاف اليها.

لقد أوصت الشريعة كذلك بالاهتمام بالزراعة فقد جاء على لسان الرواية:

(ارحموا عمتكم النخلة).

ان الشمول في الشريعة لا يدع مجالاً من المجالات إلا ويغمره بالسعادة وافشاء العدل، في مناحي الحياة كافة بما فيها الحكم والسياسة، حيث يقول (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.... هُمُ الظَّالِمُونَ.... هُمُ الْفَاسِقُونَ)) 4)

((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)) 5.)

- 4العالمية: الاسلام خاطب كل بني الانسان، من دون تمييز في اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو القومية والطبقة، فهو لا يقر مزاعم اليهود، الذين يدعون انهم شعب الله

المختار! أو ادّعاءات الماركسية بمشروعية دكتاتورية طبقة العمال! أو بأساطير الفرس الذين قالوا بقداسة أرضهم! أو افتراءات الرأسمالية بسيادة الانسان الابيض على غيره! وان تغير بعضها الان. لقد خاطب الاسلام الناس كافة:

((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) (6).

وقد استجاب لركب الاسلام نماذج مختلفة من بني الانسان، فمنذ الشوط الاول اصطف سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، الى جانب المسلمين العرب، وهامهم ابناء الاسلام في كل مكان من أرجاء المعمورة، لا يحدهم شيء، ولا يحول دون ترديد هتافهم الاسلامي الخالد حائل، عملاً بقول الله (عز وجل):

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (7).

ان هذا هو الذي يعطي الاسلام سر النفوذ في عقول الناس وقلوبهم كافة على مدى الدهور وفي كل المجتمعات، ويجعله الوريث الطبيعي والمستجيب الفطري لنداءات النفس البشرية السليمة.

ان الاسلام لا ينفي اليهودية أو النصرانية كتاباً أو شريعة بل ويقرّ وجودهم التاريخي ويقدّس أنبياءهم (عليهم وعلى نبينا محمد وآله افضل الصلاة واثم التسليم)، في نفس الوقت الذي يثبت حقيقة كونه خاتم الاديان (الاسلام)، وان محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الانبياء.

- 5 المواكبة: الاسلام يحمل ميزة مواكبة الحياة على الرغم من تقادم الزمن، وتغير الظروف، واختلاف المجتمعات، وهذا قد يبدو للوهلة الاولى أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً، اذ كثيراً ما يتردد سؤال في بال الشباب وهو: كيف يتأتى للاسلام عنصر المواكبة؟ على الرغم من البون الشاسع بين عصر انطلاقته في القرن السابع الميلادي وعصرنا الحاضر!! وما سيستمر عليه ركب البشرية الموعول في استقبال الجديد. ان الشريعة الاسلامية قد ضمت في ثناياها أحكاماً تخاطب الانسان في كل مجالات حياته من دون استثناء، واذا كانت عناصر التكوين الثابتة في الشخصية تطلّبت احكاماً ثابتة لم تتبدل كتلك التي حددت صلاته، وصومه، واحكام زواجه، والكثير من عناصره الثابتة، فان العناصر المتغيرة من شخصيته، هي الاخرى تطلّبت مراعاة الشريعة لها، من خلال الاحكام المرنة التي تواكب المتغير في حياته وظروفه.

أحسب ان مسألة الثبات في الشخصية أمر واقع حتى على الصعيد التكويني الطبي، الذي يفرض حقيقة الأكل والشرب، ومواجهة الطبيعة، وتقلبات الطقس، وهو ما يتطلب أنظمة طبية تراعي في ثوابتها ثوابت الجسم، وفي متغيراتها متغيراته. ان الحج تكليف ثابت في ذمة المكلف، والاستطاعة شرط في صحة التكليف، بيد أن الظروف الحالية بما زخرت به من امكانيات النقل المتطور، والسكن الآمن، والخدمات المتميزة، كلها جعلت من الاستطاعة أمراً أيسر من ذي قبل، وهو ما أتاح الفرصة لأكبر عدد ممكن من الوافدين لبيت الله الحرام لأن يؤدوا الفريضة.

بناءً على ما سبق يمكن قول مثل ذلك في الكثير من المجالات، كوسائط النقل، أجهزة التعليم، الاعلام، الفن، الرياضة والبناء. بل راح الاسلام الى أبعد من ذلك، حين سابق الزمن، وناشد اصحاب الاختصاص بفتح طرق مباحة، بعد أن أغلق الكثير من الطرق والمسالك اللانسانية في التعامل والتي كادت ان تعم عالم البشرية، كالذي مورس بحق المجانين وكاد ان يقضي عليهم، أو اشاعة (القتل بالوَاد)، بحجة تحديد النسل كما هو الحال في بعض بلدان العالم كالصين والهند، أو (قتل المشوهين)، تحت ذريعة الحيلولة دون تعاستهم والتخفيف من معاناة اهليهم، ويدفع بهم لاستكناه المستقبل، ومعرفة ما يمكن استشراف المستقبل من خلاله، فكانت هندسة الجينات- مثلاً-، أو تطور علم الأمراض العقلية والنفسية.

- 6 الواقعية: وتعني ان الاحكام الشرعية تقوم على ملاكات من المصالح والمفاسد، الله (تبارك وتعالى)، أعلم بها. ان تسليم العبد المؤمن لحكمة الله تستدعي بالضرورة ان يسلم بأن الله لا يأمر بشيء إلا وفيه مصلحة، ولا ينهى عن شيء آخر الا وفيه مفسدة. ان النظرة الموضوعية للشرعية الاسلامية، تكشف عن اثار الحكمة البالغة في مفرداتها، وإنّ ما وصلت اليه الاحصاءات والتجارب العلمية في الكثير من المجالات يؤكد هذه الحقيقة.

ان تحريم شرب الخمر، وقتل النفس البريئة، والسرقه، والتمييز العنصري، وإرهاب الأمنين، والتحكم بأموال الآخرين، وعقوق الوالدين، والاساءة للجار، وإهمال النفس والإلقاء بها الى التهلكة من جانب... وعدم المساواة بين المرأة والرجل، في مجال الفوارق الموضوعية، وإلغاء التمييز على اساس العنصر أو اللون، أو الدم من الجانب الآخر يؤكد على واقعية الاسلام.

ان الانطلاقة التجريبية في ميادين الحياة الحسية عزّزها في اكثر من مجال، بيد أن إخضاع الاحكام الفقهية والامور الغيبية الى الاليات التجريبية كالمخدرات والخمر كلف البشرية رديحاً طويلاً من زمن التطبيق الخاطي، لتعود بعد عناء طويل الى ما قاله

الشرع منذ زمن بعيد، في مجالات القانون الجنائي، وتنظيم الاسرة، والتعبير عن الراي... الخ، كل ذلك يؤكد حقيقة الواقعية في التشريع الاسلامي.

- 7الآخروية: من المذاهب الاجتماعية ما يؤكد على الغاء او تغييب الآخرة من حياة الانسان، ويبرز الدنيوية في حياته على انها هي الاساس او الوحيدة، مثلما فعلت (العلمانية) و(الوجودية) والمادية.
ومن المذاهب الاجتماعية، ما قصر التفكير على الحياة الآخرة وانكفاً عن الحياة الدنيا، كما فعلت الرهبانية، وبعض الصوفية، ومنها ما فصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، كما في النصرانية المحرّفة، التي قالت:
(بأنّ ما لله لله، وما لقيصر لقيصر).
(أنّ الله ملك الارواح، وان قيصر ملك الابدان).

ومنهم من اتخذ من الدنيا منطلقاً أساساً مع إيمانه بالآخرة، وحصر كل ما ارتبط بالآخرة بأضييق دائرة ممكنة، فالصلاة والصوم، والحجاب، وفريضة الحج، وأداء الحقوق الشرعية، كلها مما يؤدي في سني عمره المتأخرة، وقد يمتلك صاحب هذه النظرة العجب، حين يلتقي شاباً أو شابة وهو ملتزم بأحكام الشريعة.
ان النظرة المتوازنة هي التي تعطي الآخرة الحصة الاوفر، والتي تستحق ان يتخذ منها منطلقاً في العمل، فالشريعة الاسلامية، ركزت على الحياة الآخرة، معتبرة اياها انها هي الحياة الحقيقية:

((وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))
(8).

كما أكدت على أهمية الانطلاق منها (الحياة الآخرة)، لرسم طريق الحياة:

((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ..)) (9).

((وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)) (10).
ان التركيز على الآخرة لا يعني بأي حال ان يهمل الانسان حياة الدنيا، فالقرآن الكريم لا يلغي ذلك: ((وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) (11).

وقد جاء في الحديث الشريف:

(ليس منا من ترك دنياه لدينه أو ترك دينه لدنياه) (12).

- 8الافتتاح: الثقافة الاسلامية تتميز بانها مفتوحة، لا تقرر الانغلاق والتأطر بالماضي، لا لشيء إلا لأنه ماضٍ، كما لا تنكفئ على مكان ما مهما كان لهذا المكان من قيمة أو خصوصية، الاسلام رفض للانسان ان يكون إفرازاً عصارياً للبيئة، أو امتداداً لإرادياً للاباء والاجداد:

((بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ)) (13). (انه دين (الاسلام)، أراد لمعتنقيه ان يأخذوا العقيدة عن دليل، وأن ينفثوا على كل مخالف لهم، ويطالبوه بالبرهان:

((...)) قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (14). (كما انطلق بالمؤمنين ليتحركوا حيثما تتحرك الحكمة، بغض النظر عن حاملها حتى اذا كان كافراً او منافقاً، فقد جاء في الحديث الشريف: (الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك حتى من أهل النفاق). واراد للمسلم ان يطلب العلم ولو من غير المسلمين فقد جاء في الحديث الشريف عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (اطلب العلم ولو كان في الصين) (15).)

كل ذلك يشير بكل صراحة الى اهتمام الاسلام بأهمية الوصول الى الحقيقة وبناء المجتمع على أسس علمية، واقراره على ان العلم ليس حكراً على أحد، فقد تتلجج الحكمة على لسان المنافق فيقذفها في اذن المؤمن كما ورد في الرواية. ان هذا الانفتاح لا ينبغي ان يمارس من موقع الغفلة، او عقدة الشعور بالدونية، او فقدان الثقة بالنفس، فقد زخرت صفحات التاريخ بانصع صور الانفتاح على الآخر، دون ان تعاني من عقدة الانغلاق على الذات، ما أسهم الى حد كبير باثراء الفكر الاسلامي، وتأهيل المسلمين لأن يمارسوا دورهم في اثراء المسيرة الثقافية، عبر مجالس الاحتجاج.

ان الموضوعات التي كانت تطرح لاتقتصر على باب من ابواب العلم، ولا على شبهة من الشبهات، والانفتاح هذا كان يمارس على صعيد منح المتلقي من ابناء الديانات الاخرى، بينما يمارس المعطي الاسلامي دوره في الاثراء، واحيانا يستحث المسلم على أن ينفث على غير المسلمين من موقع الاخذ والتعلم. ان من ظواهر الصحة أن يتردد على لسان المثقف الاسلامي، الاستشهاد بحكمة من اصحاب المذاهب الاجتماعية الاخرى، دينية ام غير دينية، كقول السيد المسيح (عليه السلام)، او الرسول ذي العزم موسى (عليه السلام)، او حكيم الصين (كونفوشيوس)، او (سقراط)، ما يؤشر على وجود المشترك الديني والمشارك الانساني.

- 9الانسانية: لقد أولى الاسلام الانسان رعاية خاصة وكرمه بما هو انسان، بغض النظر عن معتقده، وثقافته، ووعيه:

((ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً))16.

لقد أشاد الإسلام صرح البناء المدني للمجتمع على أسس انسانية، ابتداءً في العلاقة الزوجية، وما أودع الله (تبارك وتعالى)، فيها من مودة ورحمة، لتدّخر كل مشاعر الحب، وتتوشح بانبل الاحاسيس، وتعيش حالة من الاستقرار والسكينة، ما تصلح معها ان تكون نواة صالحة في المجتمع، تنمو وتتفاعل مع أمثالها، لايجاد المجتمع الانساني الذي يزخر بالمعاني الانسانية، ويعطيها قاعدة عريضة، يقوم عليها بناؤه وتتفاعل مع قيمها معتقداته واحكامه:

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...))17.

واستمر معها الى مرحلة العطاء التكويني في الانجاب، ليصوغ العلاقة مرة أخرى على نفس الاساس، حيث يأمر الولد بالاحسان الى الوالدين بغض النظر عن دينهم، ومدى التزامهم، بل حتى اذا ما تعرض الولد الى ضغوط عنف من الوالدين، لحمله على الشرك، يأمره الله (تبارك وتعالى) بعدم الطاعة من دون أن يخلّ بقاعدة (المصاحبة بالمعروف):

((وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا...))18.

كما ثبتت (اطار التقوى) للاجتماع الذي تتحرك فيه كل العلاقات من الشعوب او القبائل المكونة لذلك الاجتماع:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..))19.

الخاتمة

يتعرض الإسلام اليوم إلى حالة من التشويه أكثر من أية مرحلة مضت؛ ما يستدعي التصدي لحمل المسؤولية في تصحيح الصورة من جانب، ومن الجانب الآخر تطبيق الإسلام في مناحي حياتنا المختلفة، وتبقى الثقافة من أجل التطبيق، ومن أجل الدعوة هي السبيل الوحيد الذي يأمر به الإسلام.

الخلاصة

المدخل:

*تستمد الثقافة الاسلامية ميزاتها من ميزات الرسالة الاسلامية من حيث المنشأ... ومن حيث الهدف في بناء الشخصية التي تستهدف بناءها على المستوى الفردي والاسري والاجتماعي...

*نبذة تاريخية من تجربة التطبيق.

*مآسي غياب الاسلام عن الواقع.

1-المعنوية:

- *معناها نظرة الانسان للحياة من خلال ارتباطه بالغيب عامة والله تعالى خاصة.
- *الجمع بين المعطيات المادية والحقائق الغيبية.
- *تحريك الانسان من داخله.
- *تفسير البذل والعطاء والتضحية.

2-الربانية:

- *ان الله خالق ومشرع ومرب.
- *العقل التجريبي في المجال المادي والمجال العقيدي.
- *استقامة الانسان على أساس المنطق الرباني وتطبيق الشريعة.

3-الشمولية:

- *لا تخلو واقعة إلا والله فيها حكم.
- *شمول الشريعة لتنظيم حياة الانسان وما يرتبط به من حيوان ونبات وجماد.

4 - العالمية:

- *مقارنة مع اليهود، الفرس، الشيوعية، الرأسمالية.
- *شعار الاسلام بعدم التمييز وواقعه.
- *أمثلة الصحابة، الرومي، الحبشي، الفارسي...

5 - المواكبة:

- * الثابت والمتغير التكويني والتشريعي.
- *مقارنة مع الثابت والمتغير الطبي.

6-الواقعية:

- * ملاك الاحكام (العدلية).
- *ثقة المسلم بحكمة التشريع.
- *أمثلة أثبت الواقع صحتها.

7 - الاخروية:

- *لا لإلغاء الاخروية.
- *لا لإلغاء الدنيا.
- *لا للفصل بين الدين والدنيا.
- *الموقف الاسلامي.

8 - الانفتاح:

- *اعتماد العلم والحجة.
- *الانسان ليس صدى لصوت البيئة.
- *هو ليس استمرارا مشلولاً للتأريخ.

9 - الانسانية:

- *اسس المجتمع المدني عند الآخرين.
- *اسسه في الاسلام، العلاقة الزوجية، العلاقة مع الوالدين، العلاقة العامة.

الخاتمة:

- *التجسيد للثقافة خطوة اساسية للدعوة الإسلامية.
- *المعرفة المقارنة مع الثقافات الاخرى.
- *هناك تشويه فظيع للثقافة الإسلامية من أكثر من مصدر.
- *مسؤولية الثقافة والتثقيف تقع الآن وبالدرجة الاولى على الشباب وفي أي منطقة يتواجدون فيها.

المحور الثالث

دور المثقف في منظومة المرجعية

((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) (1)

المدخل:

العلاقة بين المرجعية الدينية والأمة هي علاقة تعاطٍ مستمر في كل ما يتعلق بحاجاتها، على مستوى المفاهيم الدينية المرتبطة بالحياة؛ أو على مستوى تحديد المواقف العملية في مجالات العبادات، والمعاملات، على الصعد الاجتماعية المختلفة؛ انطلاقاً من قاعدة (لاتخلو واقعة إلا والله فيها حكم)؛ ما يجعل المرجع الديني مسؤولاً عن تحديد الموقف العملي للمكلف إزاء كل قضية يواجهها بينما يجد المكلف في المقابل نفسه مسؤولاً عن تطبيق ذلك الموقف طبقاً لأحكام الشريعة؛ وكلما تعمق الالتزام لدى المكلفين، وزاد وعيهم تأكد اعتمادهم على المرجعية الدينية. ربما تقلصت دائرة التعاطي بين مراجع المسلمين وأبناء الأمة بناء على عزوف الأمة عن الرجوع لهم تارة، وعدم تصدي بعض المراجع في تلك المجالات تارة أخرى، لسبب أو لآخر؛ بيد أن ضيق دوائر التعاطي، واتساعها بين المرجعية والأمة لم يُلغ وفي أي مرحلة من مراحل تصدي المرجعية لحقيقة التعاطي هذه. سرّ التعاطي هذا هو الشعور بالمسؤولية الشرعية أمام الله تعالى من قبل كل من الطرفين... المرجع فيما يقع عليه من تكليف في الإفتاء لغرض "تحديد الموقف" من جانب؛ والمسلم المكلف بالاستفتاء من أجل "إخضاع سلوكه وكل ما يرتبط بحياته لأحكام الشريعة" من الجانب الآخر. وعلاقة الإفتاء والاستفتاء هذه تتطور بناء على تطور آليات التعاطي، مثلما تتطور الآليات هي الاخرى بناء على شدة العلاقة وعمقها، وهذه العلاقة الجدلية في التعاطي بين المرجعية والأمة كانت سمة بارزة في تاريخ المرجعية، والرسائل العملية للفقهاء

مثلاً لم تكن متعارفة في مرحلة ما ثم اخذ الناس يبعثون بأسئلتهم إلى المجتهدين الذين يقومون بالاجابة عليها.

وصدرت كتب مثل (جواهر الفقه) للقاضي ابن البراج، و(أجوبة المسائل النيسابورية) للشيخ المفيد، و(المسائل التي وجهها الشيخ ابو جعفر الطوسي) للشيخ المفيد، و(أجوبة المسائل الطرابلسية) و(أجوبة المسائل الموصلية) للسيد المرتضى وغيرها. كما ألقت كتب خاصة بالفتوى فقط، مثل (جمل العلم والعمل) و(النهاية) للشيخ الطوسي، و(السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي) لابن أدریس، و(تبصرة المتعلمين) للعلامة الحلي وغيرها....

هذه الاساليب المتنوعة لبيان الاحكام الشرعية ظلت متداولة منذ القرن الرابع الهجري وحتى العقد العاشر. وقد نتجت عنها آثار قيمة تعد سراجاً ينير طريق الفقهاء المسلمين.

بعد هذه الحقبة ظهر نمط جديد في ساحة بيان الاحكام الشرعية يتناسب وظروف العصر. فقد بدأ مراجع التقليد بإصدار رسائل عملية (كتب تحوي الفتاوى والاحكام الشرعية)، تضم كل المسائل والاحكام التي تلبي شؤون العصر ومتطلباته.... وكانت النتيجة أن شاع اعتماد المكلفين على هذه الرسائل بسبب سلاسة اسلوبها وشمولية أحكامها واحتوائها على المسائل الجديدة المنبثقة من تطورات العصر. وقد كانت أول رسالة صدرت في هذا السياق كتاب (جامع عباسي) وهي الرسالة العملية للشيخ البهائي. وبعدها توالى صدور الرسائل بفوارق طفيفة فيما بينها في الاسلوب وغيره.(2)

ومن الواضح أن هناك عوامل أسهمت في تطوير هذه الآلية منها ما يرتبط بظروف المكلف الاجتماعية والشخصية بما هو متلقٍ، ومنها ما يرتبط بالمرجع من ناحية الامكانيات المتوافرة لديه بما هو معطٍ.

ومهما تكن طبيعة الظروف التي تحيط بالامة والمرجعية الدينية فان الدور المنوط بها على مستوى توعية أبناء الامة وترشيد مسيرتهم يبقى سمة متميزة وثابتة، ومسؤولية تتطلب أقصى درجات الوعي في مواكبة التطورات الحاصلة في الحياة على هدي الشريعة الاسلامية المقدسة، سواء على مستوى وعي الموضوعات أو على مستوى وسائل الاتصال أو على مستوى المناهج الدراسية أو على مستوى تحقيق الحضور الميداني لها في حياة المكلفين.

يتناول البحث الاسئلة التالية:

I ما هي المرجعية الشيعية؟

I من هو المثقف الاسلامي وما هي الثقافة؟

I ما هي خصوصيات المثقف ومسؤولياته؟

I ما هي الحقول المعرفية والاختصاصات الاكاديمية ذات العلاقة بالمرجعية؟

I ما هي الاوساط العملية التي تتحرك فيها المرجعية؟

I ماذا عن بعض مواقف المرجعية؟

I ما هي طبيعة العلاقة بين المرجعية والمثقف، وكيف ينبغي ان تكون؟

ما هي المرجعية؟

من المناسب ان نحدد معنى المرجعية من حيث اللغة ومن حيث الاصطلاح.
-في اللغة: “رَجَعَ يَرْجِعُ رَجْعاً وَرُجُوعاً وَرُجْعَى وَرُجْعَاناً وَمَرْجِعاً وَمَرْجَعَةً: انصرف.
وفي التنزيل: إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى، أي الرُّجُوعَ والمَرْجِعَ، مصدر على فُعْلَى؛ وفيه: إلى الله مَرْجِعُكُمْ جميعاً، أي رُجُوعُكُمْ....وقوله عَزَّ وَجَلَّ: قال رب ارجعوني لعَلِّي أعمل صالحاً؛ يعني العبد إذا بعث يوم القيامة وأبصر وعرف ما كان ينكره في الدنيا يقول لربه: ارجعون أي ردوني إلى الدنيا”(3) ما يفيد ان المرجعية باللغة الجهة التي يرجع اليها ويُردُّ لها في موارد معينة متعلقة باختصاصها.

-في الاصطلاح: لم يرد مصطلح المرجعية في آية قرآنية كريمة أو في حديث شريف وعليه فهو ليس مصطلحاً إسلامياً بالقدر المعبر عن مؤسسة تقليد وإنما هو مصطلح تعارف عليه المسلمون؛ فهو إذن مصطلح متشعبة أو مصطلح مسلمين وليس مصطلحاً شرعياً؛ “ويعرف (المصطلح الشرعي) بورود اللفظ في معناه في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، وبدون ذلك لا يوجد المصطلح الشرعي”(4).
“مصطلح تقليد ومصطلح مرجعية. هذان المصطلحان وما يرادفهما ويناسبهما غير موجودين في أي نص شرعي، وإنما هما مستحدثان، وليس لهما أساس من حيث كونهما تعبيرين يدلان على مؤسسة ومرجعية”(5).

وقد اختلف العلماء والمراجع في تحديد مفهوم المرجعية الشيعية؛ فمنهم من اعتبرها - من موقع التعامل - مقصورة على الجانب الفقهي بالمعنى الاخص، وابتعد في تصديهِ عن المجالات السياسية والاجتماعية؛ ومنهم من لم يجد اقامة الحكومة الاسلامية من مسؤوليته؛ ومنهم من قال بولاية الفقيه قبل من لم يقل بها؛ ومن قالوا بالولاية للفقيه اختلفوا في دائرة الولاية فمنهم من وسع كالامام الخميني (رض): “فللفقيه العادل جميع ما للرسول والائمة (ع) مما يرجع الى الحكومة والسياسة”(6) ومنهم من ضيق كالسيد الخوئي (رض) “سؤال 6: هل ترى سماحتكم ولاية الفقيه المطلقة أم لا؟ الخوئي: في ثبوت الولاية المطلقة للفقيه الجامع للشرائط خلاف ومعظم فقهاء الامامية يقولون بعدم ثبوتها وانما ثبتت في الامور الحسبية فقط والله العالم”(7).

ومنهم من قسمها على أساس دائرة التصدي فقال بان المرجعية الشرعية غير المرجعية الدينية وهما غير المرجعية السياسية، فالمرجعية الشرعية عنده تتولى تحديد الحكم الشرعي، أما المرجع الديني فهو من يذهب أبعد من ذلك ليحدد مفاهيم الدين مما يستدعيه معرفة بالدين أشمل وأعمق من المرجع في الشريعة، وأما المرجع السياسي فهو الذي يتولى مشروعاً سياسياً وهذا -من وجهة نظره- هو الذي يتحرك على أساس أنه مشروع قيادة، ومرجع القيادة تجاوز مستوى توضيح الاحكام وتوضيح المفاهيم الى سلوك السبيل العملي في المجتمع فتترتب عليه استحقاقات

عملية تصل الى حد التضحية بالنفس؛ هذا هو مبنى الشيخ محمد مهدي شمس الدين (رض): المرجع في الدين أمر أكبر وأجل من أن يكون مرجعا في الشريعة. المرجع في الشريعة مجتهد جامع للشرائط، وهذا يكفي. أما المرجع في الدين فقد تجاوز الحكم الشرعي الى المفهوم الشرعي، معرفة المفاهيم. والمرجعية في المفاهيم تحتاج الى مستوى من الاحاطة والعمق والشمولية، تتجاوز كفاءات الفقيه... نحتاج ان نبحث أكثر عن نماذج للمرجعية في الدين، فيما يتعلق ببلورة المفاهيم، وليس الاحكام، وفيما وراء ذلك، وهو ما يسمى قيادة. يعني تجاوز بيان الحكم الشرعي، وتجاوز بيان المفهوم في الدين الى انتهاج خط السير والسلوك العملي في المجتمع. أبرز الفقهاء القدماء.... فيما يمكن ان يطلق عليه أنه مرجع في الدين، أو يشكل مشروع قيادة، هو الفقيه الشهير محمد بن مكي الجزيني المعروف بالشهيد الاول... وضع في ذهنه مشروعا سياسيا، فلسفه أو شرعنه من الناحية المفهومية، وجرى عليه ولعله من أجل ذلك استشهد (رض). (8)

أما السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) فقد أرّخ للمرجعية بمراحلها الاربع، وكيف تطورت مع الزمن بناء على تطور الظروف التي أحاطت بها، وكيف بدأت مرجعية فردية لتنتهي الى مرجعية القيادة؛ كما صبّ اهتمامه على إطروحة المرجعية الصالحة محدداً أهدافها الخمسة الاساسية وموضحا، هيكلها التنظيمي الذي يسهل مهامها في تحقيق الاهداف. فمن حيث المراحل التاريخية: هذه الحوزة لها تاريخها الطويل الذي مرّ بعدة مراحل:

1- مرحلة الاتصال الفردي...
2- مرحلة الجهاز المرجعي وأظن -بحسب ما أفهم من سير الاحداث- انه دخلها على يد الشهيد الاول (رض)..

3- مرحلة التمركز والاستقطاب.. على يد الشيخ كاشف الغطاء ..ومعاصريه من العلماء، مرت على هذه المرجعية فترة طويلة من الزمن في عهد الحكم العثماني قبل عصر الاستعمار...

4- مرحلة القيادة بدأ -هذا الكيان- يتسلم زمام القيادة..بدأ يدخل الصراع مع الكافر المستعمر ويتبنى مصالح المسلمين ويدافع عنهم. (9).

ومن حيث الاطروحة للمرجعية الصالحة: إن أهم ما يميز المرجعية الصالحة تبنيها لاهداف الحقيقية التي يجب ان تسير المرجعية في سبيل تحقيقها لخدمة الاسلام، وإتلاکها صورة واضحة محددة لهذه الاهداف، فهي :

مرجعية هادفة بوضوح ووعي وتتصرف دائما على أساس تلك الاهداف بدلا من أن تمارس تصرفات عشوائية وبروح تجزئية وبدافع من ضغط الحاجات الجزئية المتجددة؛.. ويمكن تلخيص الاهداف:

1- نشر أحكام الاسلام...

2- إيجاد تيار فكري واسع في الامة...

3- إشباع الحاجات الفكرية للعمل الاسلامي...

4-القيمة على العمل الاسلامي...

5-اعطاء مراكز العالمية من المراجع..(10)

لم نقصد من السرد المتقدم لامثلة الاختلاف في وجهة نظر المراجع المناقشة فيها؛ ولا الترجيح لأي منها على الآخر، ولا تحديد نقاط الخلاف والاتفاق بينها؛ بل تثبيت حقيقة وهي: ان القدر المتيقن من الاهتمام المرجعي هو شؤون الامة وممارسة دور الرعاية لها من موقع المرجعية بأي دائرة من الدوائر؛ ولان ذلك يترتب عليه دور مهم وخطير للمثقف في عالم المرجعية الدينية؛ فلا المثقف الاسلامي بمقدوره ان يضطلع به من دون المرجعية؛ ولا المرجعية تستغني عنه في إيصال صوتها للامة.

النظرة الى منظومة المرجعية

1- ان المرجعية الدينية هي جهة التصدي في مجال الافتاء وتحديد التكاليف الشرعية وترشيد مسيرة الامة بكل مكوناتها لكل ما يقربها من الله (عز وجل) ويسهم في بناء حياتها على أساس الاحكام الشرعية، ((.....فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) (11)

2- انها الكلي المرجعي -المرجعية- الذي ينطبق على كل المراجع، على اختلاف وجهات نظرهم، ليتحقق مفهوم التكامل المرجعي وتجنب التنافر المرجعي، الذي يؤدي الى حالة من الاستهلاك؛ ما ينعكس سلباً على المتعلقين بكل مرجع على حساب المرجعية؛ وهو ما يضعف الامة الاسلامية ويضر بمصلحة الاسلام.

3- انها الامتداد الطبيعي للمرجعيات السابقة؛ بكل ما فيها من تراث فكري، وأعماق استدلالية، في الفقه والكلام والتفسير والاخلاق والحكمة من الناحية المنهجية؛ والتصدي الاجتماعي والسياسي من الناحية الميدانية.

4- الانتشار الافقي الذي يتسع الى حيث تتسع الامة، في كل بلد من بلدان العالم؛ ولا اقصد بذلك ان تكون المبادرة من الامة والاستجابة من المرجعية، وانما المبادرة بالاصل من المرجعية والاستجابة من الامة؛ فتكون المرجعية في موقع المبادر حين تتحسس مشاكل الناس، والمبادر في التعرف على آخر التحديات الفكرية والسلوكية، والمبادر في التعرف على التطورات المعاصرة للتجاوب معها على ضوء ما تستحق؛ والمبادر في تشخيص اولويات كل ساحة بما يناسبها من اهتمام، والمبادر في تحديد حاجات المعوزين، والمبادر في تنمية قابليات أبناء الامة وتوفير مستلزمات التطور والإبداع في الحقول الحياتية المختلفة.

5- أن تكون واضحة الاهداف والمنهج لدى الجهاز المرجعي، ولدى حلقات الاتصال بها؛ وهي وان اختلفت في حجم الاهداف من حيث الاتساع والضيق، أو في المنهجية المتبعة من قبلها، في كل مساحة من مساحات التصدي، أو من حيث أصل التصدي، في بعض الحقول السياسية أو الاجتماعية؛ لكن ذلك لم ولن يحول دون تكامل الاهداف، من

خلال تحرك مجموع المراجع، وان ما اشار له السيد الشهيد محمد باقر الصدر في المرجعية الصالحة من أهداف، يمثل محوراً مشتركاً ومهماً في عملها وهي:

- 1- نشر أحكام الاسلام.

- 2- إيجاد تيار فكري واسع في الامة.

- 3- إشباع الحاجات الفكرية للعمل الاسلامي.

- 4- القيمومة على العمل الاسلامي.

- 5- اعطاء مراكز العالمية من المراجع. (12)

نقول ذلك لان دور المثقفين سينطلق والى حد كبير من خلال الهدف المشترك الذي تتصدى المرجعية لتحقيقه، وهو ما يميز منظومة المرجعية عن غيرها من المرجعيات، في أخذها بنظر الاعتبار؛ كما ان المثقف الاسلامي بدوره ينطلق من ذات الهدف المشترك، وهو ما يجعل مهماته امتداداً لمهمات المرجعية، ويكون -بذاته- ذراعاً من أذرع الانجاز.

من هو المثقف وماهي الثقافة؟

كثيراً ما يطرح المثقف مقابل طالب الحوزة، والثقافة مقابل دروس الحوزة من جانب! كما يطرح المثقف مقابل الملتزم من الجانب الثاني! وهذا خطأ كبير في الجانبين معاً؛ وهو ما يستدعي ان نعرف من هو المثقف الاسلامي؟ وما هي الثقافة الاسلامية؟ لنذكر طبيعة العلاقة بين المرجعية الدينية والمثقف الاسلامي.

-ثَقَّفَ الرجل ثقافةً: أي صار حاذقاً خفيفاً... ومنه المثاقفة؛ وهو غلام لقون ثَقِفَ أي ذو فطنة وذكاء، والمراد انه ثابت المعرفة بما يحتاج اليه.

والتَّحَفَّ: حديدة تكون مع القَوَّاس يقوم بها الشيء المَعْوَج... التَّحَفَّ خشبة تسوّى بها الرماح(13).

ثَقِفَ: الثَّقِفُ الحَذَقُ في إدراك الشيء وفعله ومنها أستعير المثاقفة، ورمحٌ مثَقَفٌ أي مقوّم...، ويقال ثَقِفْتَ كذا إذا أدركته ببصرك بحذق في النظر ثم يتجاوز به فيستعمل في الادراك وإن لم تكن معه ثقافة قال تعالى (واقتلوهم حيث ثَقَفْتُمُوهم) (14) وأصل مادة (ثقف) تدل على الحذق في إدراك الشيء وفعله، أي سريع التعلم، ثم استعملت في مطلق إدراك الشيء .

وفي حديث الهجرة عن الرسول (ص): غلام شاب لقن ثقف أي: ذو فطنة وذكاء، ثابت المعرفة.(15) ويقال ثَقِفَ ويثَقِفَ وثَقْفاً ورجلٌ ثَقِفَ لَقْفٌ: إذا كان مُحْكِماً لما يتناوله من الامور(16).

مما طرح يستفاد من الثقافة والمثقف انها الفهم والحذق والمعرفة والتقويم؛ والمثاقفة تبادل الفهم والتقويم؛ فكأن المثقف الذي يعني فيما يعنيه تقويم السهم لغرض الاصابة،

استعير -مجازاً- لايصال الفكرة مع الاصابة الى عقل الاخر؛ والمثاقفة هي تبادل الاصابة بالفكر فيما يعطي ويأخذ مع من يحاور؛ ومنه نستوحي العلاقة بين الثقافة والسلوك وانها ليست مجرد علم،، فالمفهوم الصحيح لمعنى (الثقافة): انها نظرية سلوك أكثر منها نظرية معرفة. اذ انها تهيء الانسان للحياة الحضارية المتمنة، وتعينه على التطور الاجتماعي المطلوب” (17).

في احدى تعريفاتها الثقافة “هي الارث الاجتماعي ومحصلة النشاط المعنوي للمجتمع. ويتكون الشق المعنوي من حصيلة النتاج الذهني والروحي والفكري والفني والادبي والقيمي، ويتجسد في الرموز والافكار والمفاهيم والنظم وسلّم القيم والحس الجمالي الخ. والشق الثاني يتكون من مجمل النتاج الاقتصادي والتقني..” (18)

-أما الثقافة الاسلامية: فقد عرّفت: “أنها المفاهيم الصحيحة عن الله والكون والانسان والحياة... عن الله كخالق وشارع لاحكام والحدود والاخلاق، وعن الكون كمسخر للانتفاع الانساني، وعن الانسان كمستخلف في الارض لاستعمار الكون، ومسؤول عن تصرفاته الحسنة والسيئة، وعن الحياة كمجال للعمل الانساني على أسس اسلامية...” (19)

وأيّا يكن تعريف الثقافة الاسلامية فمن غير الممكن التفكيك بين العقيدة كقاعدة فكرية من جانب وأحكام الشريعة، وباقي مفردات الثقافة الاسلامية من الجانب الاخر؛ وإمعان النظر بهذا الترابط العضوي بين أجزاء الثقافة الاسلامية من ناحية وبناء شخصية المثقف الاسلامي من الناحية الاخرى يكشف النقاب عن العلاقة الوطيدة بين علوم الحوزة العلمية والثقافة الاسلامية على مستوى التنظير والتطبيق؛ وهو ما يجعل المثقف الاسلامي وهو من تزود بالفكر الاسلامي الاصيل، والمأخوذ من مصادره الاساسية، والمتوافر في الحوزة العلمية كمنهج عبر الآليات المتعارفة فيها، أو المستجدة والتي وفرت اطلالة واسعة لانتشار الفكر الاسلامي والثقافة الحوزوية، لما يتجاوز جغرافية المقرّات الحوزوية المعروفة ليشمل جغرافية التعاطي العلمي الممتد الى حيث يمتد طلاب العلم؛ وعليه فقد اصبح المثقف الاسلامي والذي يتوافر على المادة العلمية أعم من المرتبطين بحلقات الدرس المباشرة؛ وبذلك اصبح من الضروري التمييز بين من يحضر الدرس في علوم النحو والمنطق والاصول والفقه، وبين من يتقن الدرس في الاداء النحوي والتفكير الانساني السليم والتطبيق الفقهي في السلوك؛ وحتى حضور الدرس فهو لم يعد محصوراً في الحيز المكاني، في بلد ما أو حوزة معينة، بل يتعداه الى فضاء التلقي العلمي.

خصوصيات المثقف الاسلامي ومسؤولياته:

لا بد من التأكيد على حقيقة وهي ان الخصوصية والمسؤوليات المرتبطة بالمثقف الاسلامي، لا تخرج عن طبيعة ما تتحلّى به المرجعية كجهاز من صفات أو تتحمل من

مسؤوليات؛ مستقاة من طبيعة العلوم المعتمدة والاهداف الاسلامية المزمع تحقيقها،
والتربية اليمانية المفترض التحلي بها.
المثقف الاسلامي لا بد من أن يتوافر على الصفات التالية:

- 1 - التمتع بثقافة اسلامية(علماً ومعرفة) ترتقي به الى مستوى الاصاله من حيث العمق والشمول بما يتزود به من المفاهيم والاحكام الاسلامية لكل ما يمت الى المجالات التي يتواجد فيها بصله على الصعيد الشخصي والاسري والصعد الاجتماعي المختلفة.
- 2 - بناء الشخصية بناءً إيمانياً يرقى به الى مستوى التمسك بالاحكام الانزامية على أقل التقديرات، ومراعاة الاحكام الترخيصية جهد الامكان.
- 3 - معرفة الموضوعات التي يبتلى بالتعامل معها خصوصاً حين يكون في وسط تكثر فيه الشبهات وتشتد التحديات.
- 4 - المواصلة في التزود من منابع الثقافة الاسلامية لكل ما يستجد عنده من حاجة.
- 5 - وعي المخاطر التي تحيط به على المستوى الفكري او السلوكي لغرض التمول بالفكر والروحية التي تؤهله الثبات والاستمرار على جادة الاستقامة.
- 6 - مواصلة أداء دوره التبليغي والتثقيفي على مستوى النظرية والتطبيق في اي وسط يتواجد فيه.
- 7 - وعي المشتركات مع الاخرين(المثقف غير المسلم والمسلم غير المثقف) لغرض التأثير فيهم ما دامت تمثل الكلمة السواء معهم؛ وهي تصلح لأن تكون البداية التي يخاطبهم من خلالها.
- 8 - معرفة ما يدور عند الاخر من ثقافة واستفهامات وشبهات واتهامات لتوفير ما تستحق من مادة فكرية؛ تصلح لأن تكون رداً كافياً للتأثير بالآخر أو الثبات أمام تحدياته.
- 9 - التعاطي مع العصر الذي يعيشه والظرف الذي يحيط به بعقلية المواقبة التي تجمع بين الاصاله المبدئية والانفتاح الملتزم.

مراتب المثقفين

- مثلاً يتفاوت المهتمون في أي مجال من المجالات الحياتية كذلك يتفاوتون في المجالات الثقافية والمعرفية:
- 1 - فهناك المثقف المبدع والمولد للافكار والذي يمتلك باعاً طويلاً من الاحاطة بالعلوم ذات العلاقة بالفكر الانساني والاسلامي، وله ممارسة كافية لهذه الملكة في مجال التعاطي الثقافي من حيث التنظير، وله ملكة التطبيق فيما يعتقد حتى تخرج ثقافته من الحيز النظري الى الحيز التطبيقي.

- 2- هناك المثقف المميز الذي يتمتع بسعة استيعابية للثقافة الاسلامية، وفي مختلف الابواب مع مستوى ممتاز ايضا من الالتزام، من دون ان تكون له القدرة على التنظير.
- 3- هناك المثقف الجيد الذي له من الاستيعاب الكافي للثقافة الاسلامية والامام الاجمالي بكل ما يتعلق بمهمته الثقافية، مع الالتزام بالخطوط العامة فيما يدعو إليه.
- 4- هناك المثقف العام الذي يتحلى بدرجة محدودة من استيعاب الثقافة الاسلامية مع درجة محدودة من الالتزام، وهو لا يخرج بها عن الصورة العامة للشخصية الاسلامية.
- 5- هناك المثقف المحترف الذي يجيد فن الفهم ويحسن فن الاداء من دون أن تكون له حصة من الالتزام؛ إذ ان الثقافة بالمعنى النظري منها هي شق العلم المجرد لا تعني الالتزام من الناحية السلوكية:
- ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ*كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)) (20)

الحقول المعرفية والاختصاصات الاكاديمية ذات العلاقة بالمرجعية:

- 1- حقل الفكر والمعرفة وما يشهد من تطورات تستدعي المواكبة، وما يثار في هذا الحقل من اشكالات وشبهات، تتطلب الرد، خصوصاً أن عالم الإنترنت اختزل المسافات الى حد كبير بحيث يتسنى للمتابع المهتم بالشأن الثقافي ان يقف على اية فكرة مهما كانت بعيدة عن تراثه أو مجتمعه، وينفتح عليها؛ من هنا بدأت اليوم ظواهر الغزو الفكري من جانب، والتشكيك بالفكر الاسلامي من الجانب الاخر تقتحم كل البيوت والنوادي الفكرية مهما كانت بعيدة او مصانة، ولم تعد بحوث الكلام ومفاهيم السياسة ونظريات السلوك ومسائل الفقه حكرًا على الاوساط العلمية المتعارفة، كالحوزات العلمية والمعاهد الاكاديمية والاندية الثقافية، كما لم يعد المنفتح على أيّ منها بمستوى التفريق والوعي الكافيين لما ينتابها من ملابسات، وفي مجال التحديات المستجدة يطرح اليوم مجموعة كبيرة من المسائل والادّعاءات والاشكالات في المجال المعرفي والحياتي:

أ- العولمة وما تنطوي عليه من أهداف خفية وما صاحبها من خطوات عملية جعلت العالم على أعتاب مرحلة جديدة جعلت ما يسمى بعالم الشمال والبالغ بنسبته السكانية (20%)، يتمتع بغالبية الخيرات التي تقدّر بنسبة (80%)؛ فيما تركز الغالبية السكانية (80%) تحت طائلة الفقر والجوع والمرض، والتخلف.

ب- حقوق الانسان وما شكّل من عنوان للافتة عريضة يمارس في ظلها شتى أنواع الممارسات التي تصل الى حدّ تغيير الانظمة السياسية والتهديد بجرّ الكثير الى سدة القضاء الدولي تحت عنوان انتهاكات حقوق الانسان.

ج- الارهاب الدولي وما صاحبه من خطوات تنفيذية على مستوى استباحة البلدان والتحكم بحريتها وفرض الحصار الاقتصادي عليها واستخدام أراضيها والتهديد بضررها.

د- الديمقراطية وما اكتسحت من مساحات شاسعة في عالم السياسة وما تركت من ردود فعل متفاوتة من المطالبة بتطبيقها نظاماً أو آليات أو اتخاذ غيابها تفسيراً للكثير من الظلم الذي أصاب بلدان العالم.

2- حققت المستجدات في الموضوعات ما يقتضي المواءمة لتغيير الحكم تبعاً لتغير الموضوع؛ من هنا أصبحت مسائل التعاملات المصرفية والعقود التجارية والمكاسب المعاصرة والقتل الرحيم والاستنساخ وهندسة الجينات والاستحالة واطفال الانابيب وغيرها من المستجدات، تحتاج الى مواءمة استدلالية حتى يكون المكلف في مأمن من الانفصال بين الحكم والموضوع؛ وهو ما يفتح بالضرورة أبواباً واسعة من الحقول التخصصية المختلفة التي لا يمكن النفوذ إليها إلا من خلال المختصين الموثقين؛ ما يجعل المواءمة الفقهية رهينة العلاقة الوطيدة والتماس المباشر مع أصحاب الاختصاص.

3- حققت الاعلام والاعلام المضاد لمتابعة ما يطرح من فكر وحقائق تخدم الاسلام وتثري الثقافة الاسلامية، وما يثار من شبهات وهجوم ضد الاسلام والمسلمين لمواءمة ذلك؛ فالكثير من الحقائق العلمية تعزز من المقولات الاسلامية على قدمها وهو مرتبط بحياة المجتمعات المتمدنة كنبد التمييز العنصري واحترام حقوق الانسان وتحريم الاجهاض ومفاسد الخمر والزنا الخ؛ وما يثار ظلاماً من اتهامات من قبل الاعلام المضاد من أمثال لصق الارهاب بالاسلام والمسلمين ومؤسساتهم الدينية؛ وفصل الدين الاسلامي عن السياسة بل عن الحياة؛، وظلم الاسلام للمرأة؛ وقسوة الاسلام في احكام الردة!.. الخ كل ذلك يحتاج الى رد مسؤول وواع وسريع وملمس لدى ابناء المسلمين؛ ومع دخول الاعلام عالم الانترنت وما يوفر من فرصة خصبة للتعرف على أفكار الآخرين وما يحملون من تصورات عن الاسلام والمسلمين ما يستدعي إعادة النظر في الفكر المطلوب طرحه للعالم وترتيب الاولوية للموضوعات ذات الاهتمام الاكثر؛ واعتماد البرامج المتطورة لبث الفكر الاسلامي وتعميق العلاقة مع المسلمين والانسانية جمعاء.

4- حققت الاسرة والاطراف الاجتماعية التي تفرض مناخات تربوية بناءة تارة، أو تقليدية تارة ثانية، أو مضادة تارة ثالثة؛ ما جعلها تسهم والى حد كبير في التأثير سلباً أو إيجاباً على مسار التعامل الفردي والاسري والاجتماعي؛ وهو ما انعكس على شكل توتر وانحرافات في المكون الاجتماعي لأبناء المسلمين بحيث أخذ منحني الطلاق وسوء العلاقة بين أبناء الأسرة الواحدة شكلاً حاداً من زاوية، وكذا على مستوى تفشي الكثير من الانحرافات والبدع في الاجتماع الاسلامي؛ فيما تشهد اوساط اخرى

تصاعداً ملحوظاً في الالتزام وتعميق الوشائج، أو تعميق الوعي وإحياء الشعائر الإسلامية من الزاوية الأخرى.

5 - الحقل السياسي وما يفرز من تعاط على مستوى الاداء والتعامل على صعيدي المعارضة والحكم؛ في عصر يشهد فيه العالم تحولات حادة وإرهاصات متسارعة على أكثر من صعيد في الوقت الذي تتنامى فيه الحالة الإسلامية لترتسم على شكل دولة وثورة وصحوة وعودة إلى الإسلام، وهو ما يجعل الإسلامى بأمس الحاجة الى الفقه السياسي الذي يمدّه بالقوة، ويجنبه المنزلاقات، ويجعله يمارس دوره بأداء سليم مهما كانت التحديات المعادية.

6 - حقل القضاء الدولي والاطلالة على المنظمات الدولية في كل ما يتعلق بحقوق الدول؛ وما في حوزتها من قوانين وتعليمات خصوصاً وأن الكثير من مقرراتها أخذت طريقها الى التطبيق بشكل قسري من حيث ان الجهة التي تقرر، وتنفذ تمتلك ناصية التحكم في العالم، وتفرض إرادتها كما تشاء؛ ما جعل العالم اليوم يعيش عصر التحولات النوعية والانهيارات الهائلة تحت طائلة حضارة الآلة والجنون الآلي؛ فانتهكت أراضي الدول وسماءها وتهددت مياهها وخيراتها بذرائع مختلفة.

7 - حقل العلوم الأكاديمية ذات الطابع الانساني مثل علم النفس بمختلف فروعه (علم النفس السياسي | علم النفس الجنائي | علم نفس الطفل الخ)، علم الاجتماع، وعلم التربية، والقانون الخ؛ ان التزود بهذه العلوم أصبح حقيقة، فرضتها موضوعات هذه العلوم المرتبطة مباشرة بحياة الناس من جانب، وتخريج رجيل من المختصين فيها لحمل لوائها من زاوية أكاديمية محضة أو موجهة لأسباب سياسية من الجانب الثاني؛ وارتباط موضوعاتها بأحكام الشريعة الإسلامية من الجانب الثالث؛ ما يستدعي النهوض بأسلمة هذه العلوم وتسخيرها لخدمة الانسانية؛ وهو يستلزم لإعتماد بعضها في المنهج المقرر في الحوزة، وتبني المختصين في هذه الحقول لغرض إثراء المتبنيات الإسلامية على مستوى الفكر والممارسة.

كل هذه الحقول إضافة الى غيرها مما لا يتسع البحث لطرحها تنتظر التغطية؛ على مستوى الفعل والمبادرة كما في نظرة الاسلام لحقوق الانسان ونظراته للبيئة والحيوان والموارد الطبيعية عموماً والانهار مثلاً من حيث بلد المنبع أو بلد الاجتياز، أو على مستوى رد الفعل والاستجابة، للوقوف أمام الإثارات الفكرية والعلمية والسياسية كالعولمة والنظام العالمي الجديد وحقوق المرأة في الاسلام والارهاب... الخ. كما أنّ الأمة الإسلامية بسعة وجودها، وتعدد بلدانها، وتنوع اتجاهاتها الكلامية ومذاهبها الفقهية هي الأخرى بأمس الحاجة الى جهود علمية مكثفة تقرأ واقعها، وتستشرف مستقبلها، وتنتظر لتحقيق كل ما من شأنه الأخذ بيدها الى ما فيه الصلاح، وإذا كان السلف الصالح من الفقهاء قد بذلوا جهوداً حثيثة من أجل الوصول الى ما يحفظ لها عزّتها، ويصون كرامتها، ويعيد لها حياة كريمة تتناسب وما حباها الله من

نعم مغنوية ومادية فإنّ المعوّل على مراجعنا المعاصرين أن يواصلوا ذات الطريق، ويرتقوا بالامة الى ما يرضي الله (عز وجل)، ويصلح أمرها.

الايوساط العملية التي تتحرك فيها المرجعية:

تتحرك المرجعية في المجالات التي تشملها الاحكام الشرعية ما يعني أنها لا تستثني وسطاً من الاوساط دون أن يدخل في دائرة اهتمامها سواء على مستوى الالتزام أم الترخيص:

- 1 المجال الفردي : في كل ما يتعلق في الشؤون الفردية من العبادات كالصوم والصلاة أو المعاملات كالمكاسب...الخ.
 - 2 مجال العلاقة الزوجية: في بيان حق النفقة للزوجة على الزوج، أو بيان حق الطاعة للزوج على الزوجة...الخ.
 - 3 مجال العلاقة بين الوالدين مع الاولاد في الاسرة: من حق اختيار الاسم الى حق التربية من حقوق الاولاد على الوالدين؛ ووجوب احسان الولد لوالديه والنفقة عليهما...الخ.
 - 4 مجال التعامل الاجتماعي العام: أحكام التعامل مع الارحام والجار...الخ.
 - 5 مجال التقاضي وفض النزاع: كالخصومة في العلاقة الزوجية أو في الشركة والمضاربة...الخ.
 - 6 مجال المكاسب: لتحديد المحرم منها والمباح كبيع الاعيان النجسة أو الصيرفة والتجارة...الخ.
 - 7 مجال الجهاد في سبيل الله: كوجوب الجهاد الدفاعي لحماية ثغور المسلمين، وحرمة الفرار من الزحف...الخ.
 - 8 المجال السياسي: كالعامل من أجل إقامة الحكم الاسلامي، وحرمة الاحتكام الى الكافر، وإقامة العدل في شتى مناحي الحياة، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر...الخ.
 - 9 مجال الهجرة: كوجوب الهجرة، ووجوب الالتزام بشروط الاستئمان، وحرمة التعرّب بعد الهجرة...الخ.
- ان وجوب التقليد في كل ما تقدم من مجالات، ومجالات أخرى يتحقق -على غير المجتهد والمحتاط- في غير الضروريات و غير اليقينيّات؛ “يجب على كل من ليس بمجتهد ان يكون في جميع عباداته ومعاملاته وسائر افعاله وتركه مقلداً أو محتاطاً إلا في الضروريات واليقينيّات ان حصل له اليقين”(21)..

مواقف مرجعية:

لابد من أن نتحدث ولو بشكل عابر عن بعض ملامح المرجعية على أكثر من صعيد حتى ترتسم أمامنا حقيقة المكانة التي يحضى بها مراجعنا العظام؛ ونذكر السر الذي يقف وراء هذه الحقيقة؛ لأنّ المعروف عن الفقهاء في مجال النتاجات الفكرية أكثر بكثير مما عُرف عنهم في مجال السيرة الشخصية وصناعة المواقف على أكثر من صعيد؛ فمن أولى هذه الملامح هو:

-السمو الروحي: الذي يتمتعون به والذي يعكس علاقتهم بالله تعالى في كل الظروف: “عندما يقال للشيخ الانصاري: أحسنت كثيرا بأن تأتي كل هذه الاموال إليك ولا تنفق منها على نفسك. أجابهم أي إحسان هذا؟ إنه واجبي وأنا مؤتمن على هذه الاموال. فهل أخون الامانة؟” (22) ونقل عن الامام الخميني (رض) حين كان راقداً في المستشفى وقد تأخر في أداء صلاة الظهر لمدة ساعة بعد زوال الشمس قال لمرافقيه ما أخرت صلاتي طيلة ستين سنة من حياتي.

-التسامح: نقل السيد الحائري عن السيد الشهيد محمد باقر الصدر (رض) “إنه انفصل أحد طلابه عن درسه وعن خطه الفكري الاسلامي، ثم بدأ يشتمه، وينال منه في غيابه أمام الناس وكانت الكثير من كلماته تصل الى مسامع أستاذنا العظيم، وكنت- السيد الحائري- ذات يوم جالساً بحضرة الشريفة فجرى الكلام عن هذا الطالب الذي ذكرناه فقال (ره): انا لازلت اعتقد بعدالة هذا الشخص وإنّ ما يصدر عنه ناتج عن خطأ في اعتقاده وليس ناتجاً عن عدم مبالاته بالدين” (23).

-الوعي السياسي: في رسالة كتبها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء لمؤتمر بحدودون: “واختلاف كلمة الدول العربية بعد الحرب العالمية الثانية هو الذي أدى الى فاجعة فلسطين وانشاء دولة اسرائيل. والعالم العربي الآن يعرف جيداً أن لإسرائيل أهدافاً عدائية، ويعرف أن اسرائيل كالنار الملتهبة تستمر في احراق ما يجاورها أو تُخمد ويقضى عليها، وكالوباء المكروبي الذي يظل منتشراً أو يُقتل.

ان قضية فلسطين في الوقت الحاضر بعد ان اعترفت بها دول كثيرة اصبحت معقدة جداً، وحلها يحتاج الى كثير من الحكمة والحذر والصبر والشجاعة” (24).
-العمق الفكري والاطلاع الثقافي: فان ما تمتع به السيد هبة الدين الشهرستاني، والسيد محسن الامين، والشيخ محمد جواد مغنية تجسيد لذلك؛ ومن المصاديق الرائعة في العصر الراهن هو/السيد الصدر وما تفتق عن يراعه من نتاج موسوم في اكثر من حقل من حقول المعرفة (فلسفتنا / اقتصادنا / البنك اللاربوي في الاسلام / الاسس المنطقية للاستقراء...الخ)

-التصدي الاجتماعي والتضحية: وهذا ما جسده الكثير من الفقهاء كالشهيد الاول والسيد الامين والشيرازي والامام الخميني والسيد الصدر الاول والصدر الثاني.

طبيعة العلاقة بين المرجعية والمثقف، وكيف ينبغي ان تكون؟

لما كان المثقف أعَمّ من أن يكون طالباً في الحوزة، أو منتسباً لها ومتزوداً من علومها فإن هذا يقتضي أن يعاد على ضوئه النظر في تعريف المثقف أو طالب الحوزة ليشمل من يتزود بالعلوم الدينية وليس لمجرد الانتماء؛ وبذلك تمتد الحوزة الى حيث يمتد حامل الثقافة وفي أي ميدان يتواجد فيه؛ وهذه العلاقة الامتدادية توفر لطالب الحوزة / المثقف التزود من العطاء الفكري للحوزة كما توفر للحوزة إطلالة واسعة على الامة على مستوى الانتماء والتفاعل؛ خصوصاً أن الوسائل الحديثة من الاتصالات المعلوماتية قد وفرت اخصب الفرص لمتابعة التحصيل العلمي وعلى أعلى المستويات. لما كانت العلاقة متلازمة بين الحكم والموضوع فإنه من الطبيعي والحالة هذه ان يكون التماس على أشده بين الفقيه باعتباره مختصاً باستنباط الحكم والمثقف المختص بالموضوع؛ وحيث ان المختص بالموضوع حين تكون له خلفية فقهية تؤهله لنقل المسائل المكونة لاي موضوع للفقيه كما لو نقل الكيماوي المتفقه حيثيات الاستحالة للفقيه أو نقل الفلكي المتفقه حيثيات حركة القمر والشمس للفقيه أو نقل الطبيب المتفقه حيثيات موانع الحمل للفقيه او السياسي المتفقه نقل حيثيات المصالح والمفاسد السياسية للفقيه وكذا العسكري المتفقه وهلم جرا لاصبح الفقيه أقدر على تشخيص الموضوع ومن ثم أقدر على إصابة الحكم من موقع الفتوى ؛ وبذلك تكون العلاقة ذات طابع تكويني وممتدة بامتداد الموضوعات.

من هنا يفترض ان تكون العلاقة:

- 1- ذات طابع تشاوري على مستوى الاحاطة بالموضوعات المختلفة ليتسنى له الإفقاء من موقع الأقرب إلى إصابة الحقيقة:
(من هنا، فإنه لا غنى لمرجع التقليد في موضوع الافتاء، عن التشاور مع الصالحين وأهل الخبرة. خصوصاً أولئك الضالعين في الشؤون الاجتماعية والسياسية والثقافية والعلمية، الملمين بأوضاع المحيط خارج اطار الحوزة. وعلى المرجع فتح الابواب أمام هؤلاء، واعطاؤهم دوراً فعالاً للاستفادة من تجاربهم وخبراتهم لاعطاء احكام وفتاوى اقرب إلى واقع الساحة).²⁵
- 2- تزويدهم بما لدى المرجعية من مصادر ثقافية وبحوث فقهية مهمة تسد الحاجة الماسة للمثقفين.
- 3- الاستشارة في بعض ما يناسب من النشاطات ذات الطابع الاجتماعي والتي تدور في أوساط أهل الاختصاص ما يجعل أصل النشاط أو من يناسبه من المنفذين أو أسلوب إنجازه أقرب الى الصواب.
- 4- استشارة المثقفين في كل منطقة بما يناسب من الوكلاء لاداء الشهادة بحقه أولاً، ولتحقيق التعاون والانسجام ثانياً ولتوطيد العلاقة مع المرجعية ثالثاً.
- 5- محاولة التعرف على طبيعة التحديات التي تحيط بكل وسط من أوساط الامة لغرض معالجته.

- 6 تبني المثقفين وتوظيف إمكاناتهم في مشاريع إسلامية ذات طابع اجتماعي.
- 7 اعتمادهم في حل مشاكل الناس وتقديم المشورة لمن يحتاج ذلك وتعميق العلاقة مع أوسع قطاعات من أبناء الامة.
- 8 تفقد الكادر المثقف عن طريق الزيارات من مرجع ما أو من يمثلته للوقوف مباشرة على سير الاعمال.

الخاتمة

إن العطاء المرجعي المبارك بما أحاطه الله تعالى من رعاية وسداد ليبسط ظله الوارف على الامة وهي تمر بأحلك الظروف حرياً بان ينظر له المثقفون بعين الحب والتقدير والطاعة والتعاون، وأن لا تفوتهم أهمية التزود من عطائهم الغزير والاستفادة من آرائهم النيرة؛ كما لا ينبغي ان يغفلوا عما يكيد الاعداء من محاولات لشق صف المرجعية أو دق إسفين الابتعاد عنهم وعدم الالتفاف حولهم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الهوامش

- (1) سورة الاحزاب 72
- (2) مجموعة من الباحثين/آراء في المرجعية الشيعية/دار الروضة للطباعة والنشر /الطبعة الاولى/ السيد عباس ميري/المراجع والرسائل العملية/صفحة 482.
- (3) ابن منظور / لسان العرب / ج 8 / ص 114.
- (4) السيد مرتضى العسكري / معالم المدرستين / الطبعة الرابعة / المجلد الاول / ص 108
- (5) الشيخ محمد مهدي شمس الدين / مجموعة من الباحثين / المرجعية والتقليد عند الشيعة / آراء في المرجعية الشيعية / ص 574.
- (6) الامام الخميني / مبحث ولاية الفقيه / من كتاب البيع / ص 520
- (7) السيد الخوئي / صراط النجاة في اجوبة الاستفتاءات / ج 1 / المبحث الاول / الاجتهاد وولاية الفقيه / سؤال رقم 6.
- (8) الشيخ محمد مهدي شمس الدين / لمجموعة من الباحثين / المرجعية والتقليد عند الشيعة / آراء في المرجعية الشيعية / ص 577 ، ص 580.
- (9) السيد الشهيد محمد باقر الصدر / هكذا قال الصدر في المحنة وحب الدنيا / ص 31

- (10) السيد سليم الحسني / المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية / ملحق رقم 1 / صص 166.
- (11) سورة النحل-43
- (12) السيد محمد الحسني / محمد باقر الصدر دراسة في سيرته ومنهجه / ملحق رقم 10 / ص 383.
- (13) العلامة من منظور / لسن العرب / م9 / ص19 / طبعة 1405 قم ايران.
- (14) مفردات غريب القرآن / الراغب الاصفهاني / دار المعرفة بيروت / ص 85.
- (15) السيد عبد الاعلى السبزواري / مواهب الرحمن / م3 / ص117.
- (16) القرطبي / الجامع لاحكام القرآن / دار الكتاب العربي / الجزء الثاني / ص 351.
- (17) أحمد محمد جمال / محاضرات في الثقافة الاسلامية / الطبعة السادسة / دار الكتاب العربي / ص14.
- (18) د. عبد الوهاب الكيالي / موسوعة السياسة / م1 / 844.
- (19) أحمد محمد جمال / محاضرات في الثقافة الاسلامية / الطبعة السادسة / دار الكتاب العربي / ص15.
- (20) سورة الصف، 2، 3
- (21) السيد عبد الاعلى السبزواري / منهاج الصالحين / الطبعة الرابعة / الجزء الاول / ص 3 / مسألة 1
- (22) (سيرة نبوي) / الشهيد مطهري / 73-74، منشورات صدرا / من كتاب آراء فم المرجعية الشيعية / ص428
- (23) السيد محمد الحسني / محمد باقر الصدر دراسة في سيرته ومنهجه / ملحق رقم 10 / ص83
- (24) الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء / المثل العليا في الاسلام ال في بحمدون / الطبعة الاولى / ص 69
- (25) آراء في المرجعية الشيعية / لمجموعة من الباحثين / حسين شرفي / المرجعية والمؤهلات الاخلاقية / ص 425